الاستغراب والخطاب المضاد

أحمد يوسف

أستاذ، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عُمان

الملخص

إذا سلمنا جدلاً بفرضية وجود علم الاستغراب، فما منطلقاته الإبستيمولوجية؟ وما أسسه العلمية؟ وما دوافعه النفسية والتاريخية والسياسية والتاريخية؟

هل مبتدأ علم الاستغراب ينهض على منتهى الاستشراق، من حيث إن الاستشراق مثقل بماضيه وحاضره الذي أثار جدلاً واسعاً؛ مما جعل الوهن يتسلل إلى حوض حقله المعرفي؟ فإذا كان الاستشراق هو دراسة الشرق، أفيعد الشرق مفهوماً متجانساً ينبع من حقيقة جغرافية متماسكة كانت محل أطماع استعمارية؟ أم أنه مجرد جغرافية تخيلية كما يزعم إدوارد سعيد؟

هل هذه التساؤلات تنطبق على الغرب الذي يبدو أنه تتنازعه الجغرافيتان الطبيعية والتخيلية؟

ستتم مقاربة موضوع الاستغراب وأسسه ودوافعه مما طرحه بعض الدارسين ولا سيما «كتاب مقدمة في علم الاستغراب» لحسن حنفي الذي يقدم المسوغات الآتية لهذا العلم:

- فك عقدة النقص التاريخية في علاقة الأنا بالآخر.
- القضاء على مركب العظمة لدى الآخر الغربي.
- تحويل الغرب من ذات دارس إلى موضوع مدروس.
- القضاء على مركب النقص لدى الأنا بتحويله من موضوع مدروس إلى ذات دارس.
- مهمته القضاء على الإحساس بالنقص أمام الغرب، لغة وثقافة وعلماً مذاهب ونظريات وآراء مما يخلق فيهم إحساساً بالدونية.
- القضاء على المركزية الأوروبية]ثمة داخل الغرب من يصبو إلى تحقيق هذه الغاية[.
- مهمة هذا العلم الجديد رد ثقافة الغرب إلى حدوده الطبيعية.
- التخلص من سيطرته على أجهزة الإعلام وهيمنته على وكالات الأنباء، ودور النشر الكبرى، ومراكز الأبحاث العلمية، والاستخبارات العامة.

- نقد مصادر تاريخ الفكر الغربي على ضوء نقد التمركز حول الذات.

إن السؤال المحوري كيف يتم مقاربة «موضوع الغرب»؟ وما الجهاز المفاهيمي الذي يصطنعه الفكر العربي في بناء هذا العلم الموسوم بـ«الاستغراب»؟ أيستعمل أدوات المعرفة الغربية في فهم الغرب ذاته أم أنه يبحث عن متصورات منهجية جديدة متحررة من قوة المعرفة الغربية وسلطتها المهيمنة؟

يبدو أن ثمة وعياً لدى من يسعون إلى بناء هذا «العلم» بأنه ليس مجرد القيام بعملية تأريخية للمعرفة الغربية تنهض على التبويب والتصنيف، واستظهار جوانبها المعلنة والخفية على السواء. ولكن إذا كانت الدراسات المقارنة قد هيمنت منذ القرن التاسع عشر على العلوم تعميماً والإنسانية تخصيصاً فإن «علم الاستغراب» لا يبدو أنه يستطيع التحرر منها في مدارسة «الآخر».

مُدخل

نقدم في هذه التوطئة مُدخلات لبعض الإشكالات المبسوطة في هذه الدراسة. وهي عبارة عن جملة من الأسئلة تتوخى معاينة ملفوظات خطاب الاستغراب، وتتفحص بعض علاماتـه فحصاً سـيميائياً وحجاجياً، وتتعامل معه كونه خطاباً مضـاداً لظاهرة التغريب في الثقافـة العربية المعاصرة من وجهة، وتشـخيص صورة الغرب فـي متخيل أعدائه من وجهة أخرى. وكان يمكن أن يكون العنوان أكثر تحديداً ووضوحاً لو رتبناه ترتيباً مغايراً على ما هو عليه، وصغناه على هذا النحو الذي نضيف إليه فضلة "التغريب"، فيصبح العنوان موسوماً على النحو الآتي: "الاستغراب والخطاب المضاد للتغريب".

صحيـح أن هـذه الفضلة قد تبدو للناظر العـارف بأنها على درجـة مقبولة من الدقة فـي التحديد، وتتناسـب وطبيعة الصفـة الملازمة - هنا - لموصوف الخطـاب، والمقصود بها "الضدية" التي تنتقل من علامة الإعجاب إلى علامات الكراهية والعداء والرفض؛ بيد أن ثمة إشـكالاً له صلة بتاريخ المفهوم ونشـأته من وجهة وبموضوع التـرادف[1] في العربية من وجهة أخرى، علماً بأن الترادف قد أثار نقاشاً كبيراً بين علماء اللغة وفقهائها.

يشـتبك مصطلح الاسـتغراب مع مفـردات متداولة فـي ملفوظات الخطـاب، منها: الاسـتتباع والانقياد والاسـتلاب؛ لكنه يتضمن - في أساس النشأة - تصوراً مغايراً لمقاصد الخطاب المضاد في الثقافة الغربية التي كانت تعنيها صورة الغرب في عيون أعدائه؛ ومن ثم فهـو غيـر معني بظاهرة التغريب بقدر ما هو معني بالصور السـلبية في المتخيل الذي يحمله الشـرق عـن الغرب، ومـا تتضمنه هـذه الصور من ملفوظـات الكراهية والحقـد[2] والعداء والنفـور والرفـض، المصاحبة التـي ينتجها هذا الخطـاب المضاد بأيديولوجيتـين متضادتين؛ حيـث يـرى فتحي رضوان[3] -على سـبيل المثـال لا الحصر- أن كراهيتنا للغرب مشـروعة

لأسباب تاريخية وموضوعية يمليها النسق الثقافي العام الذي أفرزته ممارسات الغرب؛ إذ يقدم الغرب نفسه على أنه خطاب يختلف عن «الآخر»، ويستمد كينونته من نسق تاريخي ومعطى ديني ووحدة اقتصادية وتجارية وسياسية ومرآة واحدة للعقل والمنهج أكثر مما يقدم نفسه على أنه بنية جغرافية موحدة.

لقد تمخض ميلاد الاستغراب في الثقافة الغربية المعاصرة من رد فعل على صورة الغرب المشوهة في مواقف أعدائه وفي كتاباتهم، متوخياً فضح أشكال الحقد والكراهية وعدم التسامح النابعة من ثقافة الشرق الروحانية غير العقلانية؛ ولعل كتاب إدوارد سعيد في نقده «الصريح والجريح» لخطاب الاستشراق قد أحدث سجالاً عجل بإشعال فتيل إحساس بعض المفكرين الغربيين بأن الاستغراب ضرورة للتصدي للصورة المشوهة التي تقدمها رؤية الأعداء عن الغرب.

نشأ الاستغراب نشأة أيديولوجية لا يشفع فيها الحديث عن التحيز المعرفي بتعبير عبدالوهاب المسيري، وأن كلاً من الاستغراب والاستشراق في التحيز الأيديولوجي سواء، ويمكن أن ينطبق عليهما قانون التناظر من حيث هو تماثل. «فالمتناظران متقاربان معرفة ومكانة»[4]؛ ومن ثم فإن الاستغراب يبدو أنه ليس بمعصوم من الأخطاء التي وقع فيها الاستشراق[5]؛ ذلك أن ثمة وجهين للاستشراق، أحدهما عربي والآخر غربي[6]؛ ولهذا تَقَصَّدنا حذف فضلة «التغريب» من العنوان ليشمل هذه الغايات من نشوء «الاستغراب» بوصفه خطاباً مضاداً له أكثر من لغة وأكثر من علامة وأكثر من صورة وأكثر من وجه.

إذا سلمنا جدلاً بفرضية وجود «علم» الاستغراب على الرغم مما في مفردة العلم من اشتداد عادية الغموض وعسر بالغ الاعتياص في إدراك معناها. فما منطلقاته الإبستيمولوجية؟ وما أسسه؟ وما مقوماته؟ وما دوافعه النفسية والاجتماعية والتاريخية والسياسية؟ وما غاياته؟ تقتضي مثل هذه الأسئلة وغيرها منا فحص ممكنات الخطاب المضاد بملفوظاته الشرقية والغربية التي تتخذ من صورة الغرب موضوعاً لها تعميماً وظاهرة التغريب هدفاً لدى بعض المثقفين العرب تخصيصاً.

يحاجّ خطاب «التغريب» بتطلعه إلى بناء «الدولة الحديثة» على أسس علمانية تُفصل فيها السياسة عن الدين، وتضطلع بـ«تحديث» المجتمع، والاستناد إلى العقل بدل النقل،

وتحرير المرأة وتحقيق التنمية وتطوير طرائق التربية والتعليم؛ ولهذا يتبدى التغريب في خطاب الاستغراب نقيضاً للأصالة؛ لأنه ينشد الأنموذج الغربي، وتطبيق أساليبه في الحياة. فالوقوف على علامات التصوير والتمثيل وأنساقه السيميائية في خطاب التغريب تقربنا من فهم صورة الغرب وتفسيرها بما يساعد على إدراك مرامي الاستغراب الذي ينشد – بدوره – الحفاظ على المصالح الحيوية للأمة، وتوفير الشروط الموضوعية لإنجاز التنمية التي يتطلع الفرد إليها خلافاً لخطاب التغريب الذي يتنكر للأصالة.

إن الصوت الرافض للاستغراب أو دراسة الغرب ما هو إلا صورة كاريكاتورية تضع المفكرين الغربيين في زنازين محكمة. أليست العلاقة بين الشرق والغرب مازالت تحكمها الأوهام بحسب اعتقاد زكي نجيب محمود[7]؟ ولكن هناك من يشكك في جدوى دراسة الغرب بحجة أننا لم نأت على قراءة تراثنا جمعاً وتصنيفاً وفحصاً ونقداً حتى تدفعنا الحاجة إلى قراءة تراث الآخر. فكيف يواجه هذا العلم الدعوات التي ترى في دراسة الغرب تغريباً وتأثراً سلبياً وذوباناً للشخصية وعدم الحاجة إلى دراسة الأساطير والعقائد والأديان الأخرى؟ فتصبح عملية تلقي الغرب تطرح أكثر من سؤال؛ لأنه مرتبط بأسئلة التخلف والتقدم والنهضة والتنمية والإبداع والتحرر؛ وهو ما شكل نسق الخطاب الفكري العربي منذ عصر «اليقظة».

يتشيّد إشكال الدراسة – هنا – من هذه الأسئلة التي تبتغي فهم موضوع الغرب فهماً ينطلق من متصورات جديدة مغايرة لوعي تشكل في محاضن الثقافة الغربية التي اجتبته ليكون لساناً ناطقاً بحال التغريب من حيث هو اكتساح لجغرافيا الفراغ «العقيم» للإبداع الداخلي. ولعل ذلك يعد من بين الأسباب التي تخلّق في رحمها خطاب مضاد للتغريب[8] من وجهة، وللصورة العدائية للغرب[9] «فيما وراء البحار» من وجهة أخرى. وإن كنا نلفي في أدبيات هذا الخطاب حرصاً واضحاً على أن تكون لغته واصفة متنكبة الاتباع، ومتقصدة الإبداع ومتجنبة الاندفاع.

يسعى الاستغراب إلى أن يصبح مبحثاً علمياً وحقلاً لدراسة الغرب وآثار التغريب، ويحوز قدراً غير قليل من التراكم المعرفي حتى يتنزّل إلى منازل العلم، ويكتسي مشروعيته في طلب الموضوعية وتوخي الحياد، ويخرج من طور ما قبل العلم – إذا استأنسنا برأي ألتوسير – في حالة إذا ما كانت الأيديولوجيا تتحكم في مفاصل الخطاب الذي يقدم تمثيلاً للعلاقات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات والدول، وهي حاضرة في نسيج مفرداته بما

لا تخطئه عين المتلقي الأريب، وهي دالة على علامات السلطة والهيمنة والاستغلال؛ ولكن أليس الخطاب هو في منزلة بين المنزلتين، وحال ما بين القديم المحتضر والجديد الخديج؛ حيث تبرز أعراض الاستغراب بقوته وضعفه، بحياده وتحيزه وموضوعيته وذاتيته، بعلمه وأيديولوجيته؟

نتساءل هل كان للاستغراب وجه نبيل وقصد شريف ومسلك قويم يبتغي أن يتحول في أهدافه المسطورة إلى اتجاه حضاري وتيار فكري، لا تقيده النعرة القومية، ولا تكبل عقله عقال العرقية، ولا تعمي بصيرته الكراهية؟ إن بعض هذه الأسئلة – كما أسلفنا القول – تتغيا تقديم قراءة نقدية واصفة لطبيعة الخطاب المضاد الذي يتخذ من واقعة التغريب موضوعاً له كما يضع أشياع الاستغراب ذلك في حسبانهم، وأهدافهم التي ينشدونها من وجهة وبيان صورة الغرب في متخيل الآخر من وجهة أخرى.

لقد طرأ على موضوع الغرب – من حيث هو صورة للعقلانية المادية المتقدمة – تحول ملحوظ في التصور، وتغير مشهود في التعامل، وانتقل الشرق «الروحاني المتخلف» من موضوع للدراسة كما كان ديدن الاستشراق إلى ذات دارسة وهو من مقاصد الاستغراب فيما احتواه بيان حسن حنفي.

ومن هنا يغدو الاستشراق فاعلية تستكشف ثنائية «الدارس والمدروس» أو «المعايَّن والمعاين» «بمعنى أن الموضوع المعايّن يبدأ بصياغة المعايَن على صورته التي يتمثلها، ويقوم بتمثيلها المعاين...تصبح المعرفة بالشرق وشرقنته، جزئياً، شرقنة للذات والمنهج الغربيين كذلك»[10]. وإذا وقفنا على بعض الملفوظات الواردة في كتابات دعاة الاستغراب، وفي بيان حسن حنفي لألفيناها لا تسلم من عورة الغموض، وهشاشة الحياد والسقوط في مجانية الاستعمال التي تجرفها «رغوة لغوية» هي بحاجة إلى صبر في التدبر، ونبذ للعجلة في صوغ المصطلحات صوغاً متأنياً ودقيقاً. ولهذا لم ينعم مصطلح الاستغراب بمزية الوضوح؛ ولعله غير ذلك في أدبيات الخطاب الغربي.

ضبابية المصطلح

إذا كان الاستشراق مفهوماً «غير واضح المعالم لدى المفكرين العرب والمسلمين»[11]. فما خطب الاستغراب؟ هناك أكثر من إشارة إلى ضبابية المصطلح والمفهوم. وقد بدا من

الوهلة الأولى أنه مصطلح خلافي على صعيد اللغة والمفهوم. إن الاستغراب مصدر لفعل استغرب، وهو من الأفعال المزيدة؛ إذ إن وزن استفعل في العربية يفيد طلب الفعل ووجود الشيء على الصفة والتحويل والصيرورة والتشبه والتعدية. فهل إضافة همزة الوصل والسين والتاء من حيث هي حروف زائدة وطارئة على فعل «غرب» المجرد تفيد من بعض الوجوه طلب فهم الغرب فهماً سليماً والوقوف على تحولاته وصيروراته وتعديته من التغريب إلى وعي الغرب وعياً مغايراً كما يأمل أشياع الاستغراب تحقيقها، بل إن الغرب سيسهم من وجوه في تحديد مسار الوجهة، وإتاحة الآليات لما يسميه إبراهيم عبد الله «استكمال مشروع المعاصرة»، ويصبح الغرب حينئذ «مرآة تساعدنا على رؤية أنفسنا في السلم الحضاري»[12]؛ وبذلك نتنكب مسلك الاستلاب والسلخ، فنتجه إلى السؤال [بدل المساءلة] والاستثمار والحوار[13] من أجل فهم الغرب للوقوف على مكامن القوة والضعف فيه.

ينضاف إلى مفردات الاستلاب والسلخ مصطلح الاستتباع الوارد في مؤلف[14]غريغوار منصور مرشو الموسوم بـ«مقدمات الاستتباع: الشرق موجود بغيره لا بذاته» في مقابل مصطلح الاستغراب كما أسلفنا القول. فهل الاستتباع مرادف للاستغراب أم هو حاشية على متن حقل دلالي واحد يتماثل معه في البنية الصرفية والدلالية؟ وهل هو مجرد تنويع لمصطلح الانقياد في أدبيات العمران الخلدوني؟ إن ظهور المصطلح ارتبط بالإجابة عن سؤال «ماذا يعني الاستغراب؟» ليتحول إلى مقدمة لعلم لدى حسن حنفي أو مقدمات للاستتباع لدى غريغوار منصور مرشو؟ هل يغدو الاستغراب استشراقاً معاكساً؟ قد تبدو المسألة أكبر من كونه استشراقاً معكوساً، والحال أن هناك عزيمة قوية لإنهاء حالة الاستشراق، وإقامة حوار مع الاستشراق الداخلي لدفعه إلى مراجعة أفكاره وآرائه أو هكذا يأمل أشياع الاستغراب.

إذا كان الاستشراق يمتح مرجعيته من المركزية الغربية بأيديولوجيتها الكولونيالية، فهل الاستغراب يمتح كينونته من المركزية الإسلامية التي أفرزت بعض التيارات الإسلامية التي عبأت الخطاب المضاد تعبئة عقدية، وشحنته شحناً عاطفياً بغية تشويه صورة الغرب من منطلق الدعاية الأيديولوجية – بحسب تصور فؤاد زكريا-. فالغرب «منحل وفاسد ومدمر وحياته ضائعة وفي طريقه إلى الضلال، وأن الحضارة الغربية تفني نفسها بنفسها، وفي طريقها إلى الزوال...إن هذا التصوير يحمل قدراً كبيراً من التشويه؛ لكنه تشويه متعمد

لأغـراض دعائيـة»[15]، ذلك هو محكي الخطاب المضاد، الذي تشـترك فيـه بعض التيارات الإسلاميةوالماركسـية والعلمانيـة، وتلتقـي مـع هذه النظـرات الرافضة للغـرب «المغرض» «المتجرد من الموضوعية»، وسبق للطهطاوي أن قدم هذه الصورة عن باريس بوصفها مدينة من مدن الإفرنج «مشـحونة بكثير من الفواحش والبدع والضلالات؛ وإن كانت من أحكم بلاد الدنيا وديار العلوم البرانية التي تجلب الأنس وتزين العمران»[16]. إن صورة الغرب في كتابات الرحلة مشـحونة بالاسـتهواء والافتتان والاندهاش إعجاباً ونفوراً، على عكس ما هي عليه في خطاب الاستغراب.

إن خطاب الاسـتغراب سـيبدو إقناعه رخواً وحجاجه رهواً ما لم يتخل عن حمولته الأيديولوجيـة خلافـاً لما كان عليه الوضع العام للاستشـراق. ومن ثم فـإن الاكتفاء بالرؤية الشـرقية في فهم الغرب لا تقدم للقارئ صورة متكاملة وواضحة عن غايات الاسـتغراب. فالغرب ليس له وجه واحد، فمراياه متعددة يجتمع فيها «التجاور» و«التقعر» و«التحدب»، بل إن مصطلح «الغرب» تشوبه شوائب الغموض، شأنه شأن مصطلح «الشرق» كما أشرنا إلـى ذلك سـالفاً؛ إذ إنه يعد مسـاحة مـن الجغرافيا التـي لا تمتلك وصفاً دقيقـاً لخصائصها. فهناك الغرب الذي دشن عهده منذ بداية النهضة الأوروبية باستعمار العالم عبر أيديولوجيا «التحضر»، وهناك الغرب الذي احتل أسـواق العالم بشـركاته العملاقة المتعددة الجنسيات وهيمنتـه العلمية والتقنيـة والمعلوماتية والاقتصادية والماليـة والتجارية والإعلامية والثقافية وهناك الغرب الذي يدافع عن القيم الإنسانية.

ولهـذا فـإن الغربيين – في اعتقاد فتحـي رضوان – «غير منصفـين ومتجنون علينا. إنهـم معتـدون علينا، ليس فقط على صعيد إصدار الأحـكام الجائرة والظالمة، بل أيضاً على الصعيـد المادي بالغزو والاحتلال ولمدة قرون»[17]؛ ولا سـيما بعد ظهور الليبيرالية الجديدة فـي عصـر العولمة[18] كونهـا فخاً واعتداء علـى الديمقراطيـة وإنقاصاً للرفاهيـة[19] وتجريفاً للضوابط الحدودية وتقويضاً للبناء القومي[20]؛ هذا ما جعل التفكير الماركسي ينتقد – أيضاً – الاستشـراق الـذي أضحى أضعف حقـول المعرفة في الجامعات الغربيـة، ويرى أن البعد المـادي هـو الذي يقـف وراء عملية إنتاج خطابـه وليس العكس، ويغدو الاسـتغراب ضرباً من»المقاومـة المشـروعة» للمحتل[21] عبر وكلائـه من المتغربين. كما أنـه ينتقد أيضاً خطاب الاسـتغراب؛ حيث يصور طيب تيزيني[22] فكر الجابري ضمن دائرته. كما أن هناك الغرب

الذي لا قبل لنا بالاستغناء عنه – على الأقل في المتوسط القريب – علمياً واقتصادياً وحتى سياسياً وعسكرياً.

فأنى للاستغراب أن يهتدي إلى منطق «المقاومة» و«المواجهة»[23] وبيته يبدو أنه أوهن من بيت العنكبوت؟ قد يتم الرد على مثل هذا السؤال بأنه من الآثار السلبية لانهزام نفسية الشرقي أمام هيمنة الحضارة الغربية، وعدم قدرته على التحرر من تبعية الآخر، وعدم ثقته في ذاته على الإبداع. لسنا – هنا – بصدد الحكم على مشروعية «الاستغراب» من عدمه؛ وإنما نحن نتقفى وصف الظاهرة، ونواجه خطابه المضاد بمنطق السؤال. أليس من الأجدر أن نخلق مسافة بيننا وبين الآخر[24] لنفهمه فهماً موضوعياً. فبوساطة هذه المسافة قد «يتبدى لنا في نأيه عنا»[25].

إن مثل هذه الهواجس جعلت الباحثين في الندوة التي نظمتها الجامعة العربية في باريس حول المفكرين والكتاب العرب في المهجر عام 1986 تحذف من بيانها مفردة الاستغراب دفعاً للالتباس؛ وكذلك ما ورد في الافتتاحية التي خصصتها مجلة «الشرق وأوروبا» لموضوع «الاستغراب بين الخوف والاستهواء»[26]، فلاحظت أنه حقل واسع من الدلالات المتعددة، يتجاوز إطار الفكر الأحادي، ويراوح بين إثارة الخوف لدى الآخر في «الداخل» و«الخارج» والسحر الخلاب به، فيغدو استهواء. حيث يثير الاستغراب تساؤلات، بله مخاوف في الغرب والشرق على السواء. ويتم التساؤل عن طرائق تبديد مثل هذه المخاوف؛ لأن ثمة تبايناً واضحاً بين التصورين الشرقي[27] والغربي حيال موضوع الاستشراق كما سيتضح ذلك في منعطفات هذه الدراسة.

إن من مسالك الحجاج في خطاب الاستغراب في تبديده لمخاوف من يعتقدون أن خطابهم آيل إلى السقوط في المحاذير التي سقط فيها الاستشراق، وأن لغتهم ستصيبها شقوة النزعة الأيديولوجية، وستنتهي بهم إلى بث شرور الحقد ونشر الكراهية والنفور من الآخر ورفض التواصل معه؛ ولهذا يكتسي خطابه مبعداً تواصلياً سيميائياً مستعملاً الآليات الحجاجية فيدفع هذه الشبهات. فالاستغراب ما ينبغي له أن يكون بصورة معكوسة لخطاب الاستشراق، وما ينبغي له أن يسقط في شراك ما سقط فيه؛ لأنه لا يمتلك الإمكانات التي –كان ومازال– يتوافر عليها الاستشراق ليصير مصدر قلق وتهديد.

إن المنطلقـات الثقافيـة والروحية التي يرتكـز عليها خطاب الاسـتغراب في أدبيات الثقافة العربية بمرجعيتها الدينية وقيمها الروحية لا تسمح – في نظرهم – له بتشويه صورة الآخر[28] كما كان شـأن الاستشـراق؛ لأنه محكـوم بآداب الثقافة الإسـلامية. وثمة بعض المسوغات التي يطرحها أحمد الشيخ في توكيد مشروعية الخطاب المضاد للتغريب في حوار حول آفاق الاستغراب وإنهاء حالاته.

ومهمـا يكـن فإن ثنائية «الشـرق والغـرب[29]» أو «الإسـلام والغـرب»[30] أو»الأنا والآخر»[31] أو «الشمال والجنوب»[32] أو «التراث والحداثة»[33] أو «الأصالة والمعاصرة»[34] أو «الديـن والدولـة»[35]، ثم انعطفت منهـا ثنائيات أخرى «التقـدم والتخلف» أو «الإبداع والاتباع» أو «المركز والمحيط» أو «المحلية والعالمية» أو «الديكتاتورية والديمقراطية» مازالت تحـرك وتقلـق وتربك الخطـاب المضاد، وقد تلقـي به إلى غيابـات الاعتقاد بنمطيـة الطبائع الثابتـة، ولا يجد بُداً في تجاوزها وتخطيها. فهي متشـابكة مـع اللحظة التاريخية الراهنة في لقاءاتها[36] وصدامها، وحوارها وتنافرها، وثباتها وتحولها.

النشأة العربية

نشـأ علـم الاسـتغراب بوصفه نظيـراً لعلم الاستشـراق؛ وكأنـه يؤدي عمليـة تبادل الأدوار وإن لم يصرح بذلك في ملفوظات خطابه. فالاستشـراق يدرس موضوع الشـرق، والاسـتغراب يدرس موضوع الغرب. علما بأن الاسـتغراب علم نشـأ نشأة شرقية وغربية. ويـرى حسـن حنفي أن فلاسـفة التاريخ أدركوا أهميـة الخطر المحدق بالغـرب وبانحطاطه وزوالـه، ولكـن هـذه الدراسـات لا يدرجها في علم الاسـتغراب. فهي تمثـل – في نظره – رؤية الغرب لنفسـه. كمـا أن كتابات الرحالة والمبتعثين الأوائـل للغرب لم تخرج عن إطار الإعجاب والانبهار بالتقدم الحضاري مقارنة مع تخلف العالم الإسلامي، وهي بذلك ترى ذاتها في مرآة الغرب، ولا تقدم دراسة نقدية عن الغرب.

إن الاسـتغراب دراسة للغرب من خارج دائرتيه الداخلية[37] والخارجية[38]. وحجة الأشـياع أنـه إذا كان الغـرب قد درس الشـرق فمـا المانع أن يقوم الشـرق بدراسـة الغرب، ويتحـول مـن ذات مدروسـة إلى ذات دارسـة؟ فالاسـتغراب خطاب مضاد للاستشـراق، بـل للتغريب وهو شـكل من أشـكال الاستشـراق الداخلـي؛ حيث مازالت لعنـة الارتباط

بالاستعمار[39] تمثل وصمة عار تلاحق نشأة الاستشراق في مساعدة الغرب لاحتلال أجزاء كبيرة من العالم الإسلامي وخدمة أهدافه المتمثلة في الهيمنة على مقدراته، مما جعل الصراعين الديني والعسكري يحتدمان. وقد سعى إدوارد سعيد لنقد خطا الاستشراق؛ بينما يخالف التفسير الماركسي هذه الزاوية في التحليل والنقد؛ في التحليل والنقد؛ إذ يرى جلال العظم أن هذاالنقد ركز على جدل الخطاب بدل الصراع المادي الذي أنتج هذا الخطاب.

يبدو أن المصطلح حديث العهد في التداول، وهو ما يشير إليه حسن حنفي وفؤاد زكريا: من أن مادة هذا العلم قديمة[40] تعود إلى أدب الرحلات الذي أدى دوراً مهماً «في تقديم صورة «الغير» لقرائها، وترسيخ مجموعة من الانطباعات العامة، والتصورات عن الشعوب الأخرى صادقة كانت أم خاطئة»[41]، وما كتبه بعض الذين ابتعثوا إلى الغرب للدراسة أو التجارة أو التمثيل الديبلوماسي. ولكن تحول بعض من هؤلاء النخب -التي تلفت تكوينها في الغرب- إلى فئات متغربة، حاملة لواء الثقافة الغربية وأنماط العيش في التفكير والسلوك علما بأن هذه الثقافة الغربية لم تأتنا بقوة السلاح، وإنما تقبلها بعضنا عن اختيار؛ لأنها معروضة في سوق المعرفة، لا يجبرنا أحد على تقبلها[42]؛ ولكن أليس هناك من المعوقات التي تكبح جماح المعرفة للتطلع خارج ذاتها؟

يرى فؤاد زكريا -في هذا السياق- أن فكرة الاستغراب تعد من الآراء الخاطئة. وحجته في ذلك أننا لسنا بحاجة إليه لكونه حاضراً في وجدان الحياة التعليمية والثقافية لدى العرب -على الأقل- منذ أن بهر التقدم الحضاري في فرنسا الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي؛ إذ يؤرخ هذا الانبهار للإرهاصات التي تحاول فيها الذات الشرقية فهم هذا المجتمع الفرنسي، وتسعى إلى تقديمه إلى المجتمع المصري. «فالمطالبة بأن يكون هناك استغراب مواز للاستشراق هو أمر يثير الاندهاش - بالمعنى الشائع للكلمة - فالاستغراب موجود وموجود على نطاق واسع، بل إن الذين ينتقدون حركة الاستشراق في الحقيقة يدعون إلى أن نقلل من كمية الاستغراب الموجودة عندنا حتى نهتم أكثر بحياتنا وثقافتنا الخاصة، وبالتالي لا يوجد معنى وراء هذه الضجة التي تستهدف إظهار أنه لا يوجد استغراب لدينا، أنا أقول لهم لدينا استغراب بالفعل»[43]. إن دهشة فؤاد زكريا من الدعوة إلى الاستغراب

مردها إلى أنها دعوة إلى واقع موجود قديماً وحديثاً؛ لكن الدخول في معركة مع الغرب قد لا تكون متكافئة أو هي مجرد «زوبعة في فنجان». أفهذه المعرفة الموسومة بعلم الاستغراب مجـرد ردة فعـل تخفت بخفوتها أو تزول بزوالها، أم أن هذه المعرفة ماضية في إسـتراتيجية الرفض والمواجهة والنقد والنقض والتوازي؛ وذلك يمثل سيماء خطابها في نشدانه للأصالة والإبداع تحقيقاً للجدة والطرافة[44].

فـإذا كان المصطلـح حديثاً فهو قديم قدم مادته. وما بقي – في تصور حسـن حنفي – إلا محاولة الاجتهاد في ضبط المفهوم و«إحكامه»، ثم التفكير في بسط «افتراضاته» ووضع لبنات منهجية مكينة لتجاوز «النوايا» إلى «التطبيق». فعلى سـبيل المثال يقدم حسـن حنفي أنموذجـي أنـور عبد الملك وسـمير أمين لإبـراز أن النية موجـودة في تجاوز التبعيـة والفكرة الرئيسـة قائمـة في نقد التمثيل والتصور، «والهدف موجـود كإحدى علامات التحرر، وأن الـذات لا تسـتطيع التحـرر إلا إذا تحولـت من موضوع للدراسـة إلى ذات عارفـة لكن إلى الآن لم نخرج من مسـتوى الممارسات إلى مستوى العلم المؤصل»[45]. فمسألة الاستغراب بحاجة – فقط – إلى «تأصيل» وبناء «مشروع قومي».

ولهذا يقر حسن حنفي بأنه لا يلفي لمفردة «الاستغراب» إشارات في الكتابات القديمة. وفي معرض رده على سؤال أحمد المطيلي حينما سئل: متى استخدم مصطلح الاستغراب؟ ومن أشـاع هذا المصطلح؟ يرى بأنه لم يقتبسـها من غيره؛ وإنما يؤرخ لاستعمالها في كتاباته اسـتعمالاً عفوياً بداية من سـنتي 1965 و1966 في أثناء إنجازه لأطروحتيه الأولى والثانية بالفرنسية حينما كان منشغلاً بمتابعة التفكير الظاهراتي ودراسة الوعي الأوربي وكتاب أزمة العلوم الأوروبية لأدموند هوسرل، ثم استخدمه في سنة 1967، ولا سيما في كتبه «قضايا معاصرة» و«التراث والتجديد». إن نسـبة فكرة الاستغراب إلى أنور عبد الملك وسمير أمين قد لا تنتظم مع نسقهما المعرفي، بل قد تأتي نقيضاً لما يفكران فيه.

صحيـح أن المصطلـح ظهر في بحث لحسـن حنفي في مجلة الفكـر العربي المعاصر موسـوم بـ«موقفنا من الغرب»، وأتى في مقابل الاستشـراق. فارتكز على فكرة فحواها: إذا كان للغرب علم يدرس الشرق فلما لا يكون للعرب علم يدرس الغرب؟ وهو سؤال مشروع من حيث التصور والمبدأ؛ لكن هذا العلم – وهنا لا بد من تحديد لماهية العلم المقصود – هل سـيظل أسـير الخطاب المضاد، ويكون مجرد ملفوظ لرد فعل على الاستشـراق والتغريب؟

وأسيتحرر من كوابح التحيز الأيديولوجي أم أنه يذهب مذهب من يرى أن للتحيز مظهراً إيجابياً عكس ما توحي به ظاهر العلامة اللسانية؟

لقد استعمل برنارد لويس[46] -المتخصص في دراسات الشرق الأوسط - المصطلح - في نظر أحمد الشيخ - في مؤلفه «كيف اكتشف المسلمون أوروبا؟»، ولا سيما في الفصل الثاني الذي خصصه لنظرة المسلمين للعالم[47]،ومن منطلق أن المسلمين لا يتوافرون على الفضول المعرفي لاستكشاف الآخر تعميماً والغرب تخصيصاً، وأن مؤلفه «اكتشاف المسلمين لأوروبا» الذي استغرق منه خمساً وعشرين سنة يقدم «صورة أوربا الغربية كما تعكسها المؤلفات الإسلامية وبضفة خاصة الكتابات التاريخية والجغرافية»[48]. وهذا الدافع حرك أحمد الشيخ لبسط الفكرة على النقاش في الصحف والمجلات والندوات. ومنها اتسعت دائرة النقاش بين المفكرين من العرب والغرب، ويجمع حواراته في مؤلفه الموسوم «من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب».

إن أعجاز الاستغراب عقبى لصدور الاستشراق؛ ولهذا انخرط حسن حنفي في النقاش، فكتب مقالة بعد ظهور كتاب «حوار الاستشراق والاستغراب» يدعو فيها إلى بناء علم اجتماع جديد»، ثم كتب «من الاستشراق إلى الاستغراب» ليتحول فيما بعد إلى كتاب «ماذا يعني الاستغراب؟»، ثم ظهر- بعد ذلك - في طبعة أخرى موسومة بـ: «مقدمة في علم الاستغراب». واللافت للانتباه أنه ليس هناك تركيز على نقد الاستشراق «الخارجي» بالقدر الذي نقف فيه على نقد الاستشراق «الداخلي» الذي يرادف التغريب. ثمة محاولة لإنهاء «حالته». علما بأن العقلاء يدركون أن للاستشراق مساوئ ومحاسن، سلبيات وإيجابيات.

فند أحمد الشيخ البداية التي رسمها حسن حنفي لفكرة الاستغراب في ربطها بأطروحته الأكاديمية حول الظاهراتية، ورأى أنها تتحدث عن «الشعور المحايد» الذي تطرحه فلسفة هوسرل الظاهراتية؛ خلافاً لفكرة «الشعور الإيجابي» التي يجسدها الاستغراب، وهي مقرونة بالوعي بضرورة الاستقلال السياسي والتحرر الذاتي من الانقياد والاستتباع والاستلاب والسلخ. ولا يحصل ذلك إلا بتنشيط آليات الوعي الجديد لإنجاز مزية التفاعل وفضيلة التعايش في أجواء من التكافؤ.

هناك فرضية تزعم أن الاستغراب يتضمن وعياً جديداً بفكرة «الغيرية»[49]، وتحولاً في التصور حيال موضوع الغرب؛ وهذا الوعي متقدم في التصور، وحديث في التناول والطرح. بيد أن الغيرية لا تكاد تنفصل عن الإنية حتى وإن نظرنا إليها نظرة إتيقية على نحو ما تبسطه لنا هيرمينوطيقا بول ريكور. فهي شرط لبناء الذات ضمن علاقة التعارف وضرورة التفاعل التي تصل إلى درجة التماهي العاطفي. فعلاقة الشرق بالغرب في ضوء فلسفة الغيرية تفرض على الذات أن تسكن في داخل الآخر لاكتشاف إنيتها لا أن تجاوره فقط. فالإنية لها حضور أصيل في الغيرية، ومنها تكتسب هويتها.

لا يمكن إغفال حقيقة أن هذا الوعي انبثق عقب هيمنة فكر الاستشراق لعقود من الزمن في دراسة العلاقة بين "الشرق والغرب"، بل يبدو أن لا فتح جديداً في دعاوى الاستغراب من وجهة نظر بعض الدارسين[50]، لكون أن نجمه قد سطع بعد أفول نجم الاستشراق ونهايته في المؤسسات العلمية والدوائر السياسية الغربية. إن من لا يتحمسون لفكرة الاستغراب يرون خلاف ذلك، وأنه شيّد على أنقاض الاستشراق؛ من حيث إن الاستشراق مثقل بماضيه وحاضره، ومتخم بحمولته الأيديولوجية في نظرته للشرق، ومكبل بخدمته لسياسة الاستعمار[51] في دراساته الأنثروبولوجية، ومتجرد من الحياد العلمي في تطبيقاته للمناهج الغربية. كل ذلك قد أثار جدلاً واسعاً حول أهدافه العلمية؛ مما جعل الوهن يتسلل إلى حوض حقله المعرفي، ويستسلم لمنطق النهايات التي تسكن روح الغرب أو ما أطلق عليه علي حرب بحديث النهايات.

إذا كان الاستشراق انكب على دراسة الشرق[52] سواء أكانت هذه الدراسة سلبية أم إيجابية. فهل الغرب مفهوم متجانس ينبع من حقيقة جغرافية متماسكة كانت انطلاقة لغزو العالم واستعماره؟ أم أنه مجرد جغرافية تخيلية مثله مثل الشرق كما تصور ذلك إدوارد سعيد؟ من الصعوبة بمكان أن تزول غشاوة الضباب عن مفهوم الاستغراب، وتنجلي عنه الشكوك، ويستقيم عوده، ويستوي على ساقه؛ ولا سيما وهو يجهر بأنه يتقصّد الاستقلال بأنواعه عن الغرب، ويدحر «حالة الاستشراق العربي»، وينهي حالة التغريب، ويعزل المتغربين بالحوار والنقد. إن مفهوم الاستغراب ليس له تعريف واحد، فهو يجمع بين الرهاب «الفوبيا» من وجهة، والاستهواء[53] الذي تحول إلى افتتان من وجهة أخرى.

قـد يغـدو الحوار»ترياقاً حجاجياً» إنْ تعاملنا مع التغريـب على أنه حالة مرضية غير طبيعيـة في جسـم المجتمع وهيـكل الثقافة وكيـان الهوية. من منطلق أنـه يختلف مع منطق التغريب. فلا يوجد الحوار «إلا حيث يوجد الاختلاف في طريق البحث، فالراجح أن طريق الوصول إلى الحق ليس واحداً.. لأن الحق هو نفسـه على خلاف الرأي السـائد ليس ثابتاً لا يتغيـر، بل أن يتغير ويتجدد، وما كان في أصلـه متجدداً فلابد أن يكون الطريق الموصل إليه متعـدداً»[54]. إن التعـدد كونه من نواميس الطبيعة الثابتة يفسـر ظاهرة الاختلاف، ويسـوغ ضـرورة الحـوار، والزيادة مـن التقصي داعية إلى فهم أعمق لما أشـكل علـى الناظر من أمر الاستغراب.

فالمتتبع لما طرح في «مقدمة لعلم الاستغراب» يتبين أنه مجرد قراءة للحضارة الغربية ولتاريخها الثقافي والفكري والفلسفي كما يتبادر إلى ذهن القارئ وهو يقرأ فصول الكتاب. فـكأن صاحـب هذا العلم يقف عند حدود التاريخ وإن زعـم أنه يبتغي جلاء غوامضه حتى ينقـاد إليـه الجواب السـليم.فهل تتمتع هذه القـراءة بمصداقية الحياد أم أنهـا لا تجد ضيراً في التحيز[55] سواء أكان معرفياً أم أيديولوجياً؟ يلاحظ هاشم صالح كغيره من النقاد والمفكرين العـرب أن المصطلـح يلفه كثير من الغموض، ولا يرى في دعوة أحمد الشـيخ إلى بناء علم الاستغراب سوى القيام بدراسات نقدية لما ينجز في الغرب[56]؛ لكونه يعتقد أن الاستغراب يركز «أكثر على المواقع الذاتية والحضارية للأنا التي تنظر، وتكتب عن الآخر»[57]. ويعترف أحمد الشيخ بأنه لا توجد قراءة علمية حيادية.

وعليه، هل سـيتخذ الاسـتغراب مسلك الاستشـراق، ويقع فيما وقع فيه من مثالب وأخطاء في تشويه صورة الآخر؟ هل سيتمكن أشياع الاستغراب من تفريغ علمهم من أي آثار أيديولوجية قد تؤدي إلى العداء والكراهية ورفض قيم التسامح؟ يبدو التساؤل مشروعاً من وجوه حول ما إذا كان الاسـتغراب مجرد نسـخة من البيانات الشـخصية التي تلبس – أحيانا – لبوس الوعظ كما هو الحال لدى بعض دعاة الاستغراب– إلى حالة موضوعية لها منطقها ومسـوغاتها التي تبنى على حجج مكينة؟ وهل اسـتطاعت هذه البيانات أن تتنكب مسـالك التعبئة الوجدانية، وتتجنب الشحن الأيديولوجي، وتبتعد عن التحريض العاطفي كمـا هو حال الخطابات النضالية؟ ألا يخشـى أشـياع الاسـتغراب من العرب السـقوط في

شراك «الأحلام المستعجلة» و«الولادة» قبل إبانها والقفز على الشروط الموضوعية للإبداع؟ ألا تبدو أنها ضرب من «الأحلام الرومانسية» التي تعيدنا طوراً آخر إلى الخطابات النضالية التحررية؟ لا يمانع هاشم صالح أن يكون موضوع الغرب مادة للدراسة لدى الغربيين؛ لكن الاستغراب صار يخيف الدوائر الغربية ويفزعهم[58]، ويشكل «رهاباً» لديهم. بينما يسعى أشياعه ليمثل فن الحوار بين الثقافات بدل الصراع والصدام وهيمنة القطبية الأحادية، ويتجاوز الاستسلام لمنطق الإجابات طلباً لمنطق السؤالات.

النشأة الغربية

استعمل مصطلح الاستغراب occidentalisme في الثقافة الغربية المعاصرة استعمالاً يختلف عن نظيره في الثقافة العربية. فقد نشأ هذا المصطلح باللغة الروسية (zapadnicestvo) في الصالونات الأدبية الروسية في سنة 1840، وكان يشير إلى قسم من الرأي العام الروسي المنقسم على نفسه في نقاشه المتباين حول مسلك التطور التاريخي لروسيا، وسرعان ما ابتذل هذا المصطلح في الاستعمال اليومي؛ ليدل على الإعجاب بالحضارة الغربية التي أولت عناية خاصة واهتماماً منقطع النظير بالفرد. فالاستغراب لم يتحول إلى تيار اجتماعي أو سياسي قبل الثورة الروسية[59]، فظل علامة بارزة دالة على قوة الهوية الاجتماعية والثقافية للأنتليجنسيا الروسية[60].

لم يلبث أن اختفى مصطلح الاستغراب في أدبيات الأنتليجنسيا الروسية بعد هيمنة أيديولوجيا الثورة البلشفية في نهاية العقد الثاني من القرن العشرين، والنزوع نحو تحقيق حلم الإنسانية في العدالة الاجتماعية والقضاء على التفاوت الطبقي في المجتمعات. هذا ما تجلى في مستقبل الإنسانية التي بشرت به الاشتراكية؛ لهذا تراجع الإعجاب بأنموذج الحضارة الغربية بعد أن سيطر التيار الماركسي على الحياة السياسية وبخاصة في الفترة الستالينية، فتلاشى الاستغراب وزال الافتتان بالأنموذج الرأسمالي للحضارة الغربية الذي قوض ركائزه خطاب المثقفين اليساريين كما أوضحت ذلك بعض كتابات المؤرخ الفرنسي مارك فيرو M. Ferro[61].

يكاد يبتعد هذا المعنى لمصطلح الاستغراب عن حقله الدلالي، ومفهومه المتداول في الثقافة الغربية التي تتقصد منه النظرة السلبية الجاهزة المتجردة من الإنسانية حيال الغرب.

ويتحدد المفهوم من حيث هو جغرافيا تشتمل على أوروبا والعالم الغازي[62] الناطق ببعض اللغـات الأوروبية؛ إذ هناك وجه آخر لاسـتعمال المصطلح في تحولـه إلى ملفوظ دال على صورة الغرب المتطور ورؤاه الإيديولوجية سـواء أكان ذلك من قبل الغربيين أنفسـهم أم من غير الغربيين.

إن الغربيـين أنفسـهم لا يتـرددون فـي ممارسـة النقـد الذاتـي؛ ولا سـيما فلاسـفة الاختـلاف. فهـم يتخـذون من أنفسـهم موضوعا للتحليل والدراسـة والنقـد بمن في ذلك النازيون والفاشستيون وأحزاب اليمين المتطرف في غيرتهم على انحطاط الغرب أو ضعف شـوكته أو انهياره الأخلاقي. ومن الأمثلة على ذلك ما ذهب إليه أزوالد شبنجلر [1880-1936] في تنبئه بسـقوط الحضارة الغربية وانهيارهـا «The decline of the west" التي يصف ثقافتها بالرجل الفاوسـتي من حيث اعتدادهـا بذاتها وميلها إلى التأملات والاعتبار من أحداث الماضي والاهتمام بالمستقبل، شأنها في ذلك شأن الحضارة الفرعونية.

يسـتمد أ. شـبنجلر نقـده من فكـرة الدوائر المغلقـة للحضارات، ويتبنـى رؤية نقدية متحـررة من هيمنة التفكير الوضعي على الدراسـات التاريخيـة في عصره؛ ولهذا لم يكن أسـير منطق التفاضل بين الحضارات، وتوينبي في دعوته لإنقاذ الغرب عن طريق المسيحية، وبرجسـون فـي التنبيه للخطر المحـدق بالغرب في ابتعـاده عن منبع الأخلاق واستسـلامه للمادية الآلية، وهوسـرل في حديثه عن أزمة العلوم الأوروبية وإيمانه بأن الكمال لا يتجلى إلا في صورة الغرب،

إن التعريـف القديم للاسـتغراب كان يتضمن متصورات سـلبية للغـرب؛ وغالباً ما تكـون مركزة علـى العالم الإسـلامي الممتلئ بالحقـد والكراهية والعدوانيـة حيال حضارة الغـرب وثقافته وقوى التحديـث التي قد تتعارض مع التقاليد. وما هـذه الحضارة إلا دائرة روحية مرتدة إلى ذاتها كما يتصور ذلك أ. شبنجلر؟ ومثل هذه المقاربات تبدو أكثر انتشاراً، وتتضمن في الآن نفسه التمثيلات الإيجابية والسلبية في الخطابات المضادة للغرب.

لقـد أورد جيمـس ج. كاريي James G. Carrier[63] – في هذا السـياق – تصوره للاسـتغراب كما ورد في كتابه الموسوم بـ:»صور الغرب» في عام 1995، ثم شاع المصطلح الذي أورده إيان بيريما Ian Buruma الكاتب البريطاني-الإيرلندي المتخصص في الشؤون

الصينية وآفيشيمارغاليتAvishaiMargalit[64] الفيلسوف الإسرائيلي أفيشيمارغاليت في كتابهما المشترك «الغرب في عيون أعدائه» 2004. فالمفهوم هو مقابل للاستشراق وعكسه؛ حيث قدم إدوارد سعيد صورة نمطية لنظرة الغرب للشرق. فثمة مؤلفات سابقة استعملت مصطلح «الغرب» استعمالا متباينا كما هو الحال في استغراب شين كسياومي Chen Xiaomei «نظرية الخطاب المضاد لصين ما بعد ماو تسي تونغ» الصادر عام 1995.

تتضمن نظرة الشرق للغرب الموقف من العادات الغربية قبولاً أو رفضاً؛ إذ يشير أنور مالك – في هذا السياق – إلى تجاوز نسق القطبية الثنائية بعد «تجربة الصين الرائدة. وفيها لأول مرة محاولة لإنشاء مجتمع متعدد القطاعات يتسم بالتعددية الاقتصادية»[65]. ولعل ذلك يفضي إلى إضفاء صبغة عالمية على موضوع الاستغراب، وأنه ليس موقفاً عربياً وإسلامياً من الغرب الذي وسم غيره بالعالم الثالث[66] وحسب، بل تشترك فيه كل المجتمعات المتضررة من الهيمنة الغربية ومن آثار الرأسمالية المتوحشة بثالوثها غير المقدس.

وقد سبق لفرنسيس فوكوياما أن تنبأ في مقالته «نهاية التاريخ» الصادرة في 1989، ثم تحولت فيما بعد إلى كتاب بانتصار الرأسمالية الليبرالية على أيديولوجيات الأنظمة السياسية السائدة آنذاك مثل: الملكية الوراثية، والفاشية، والشيوعية. ورأى أن «الديمقراطية الليبيرالية» قد تشكل «نقطة النهاية في التطور الإيديولوجي للإنسانية»، و«الصورة النهائية لنظام الحكم البشري» وبالتالي فهي تمثل «نهاية التاريخ»[67]؛ وهذا الطرح استثمره المحافظون الجدد في البيت الأبيض، وانجرت عنه حروب قذرة وويلات للبشرية.

لقد طفق مفهوم ثنائية «الشرق والغرب» يتضح وضوحا أكثر من ذي قبل مع الدعاية التجارية الأوروبية والنزعة الأمبريالية التي سادت القرنين الثامن عشر والتاسع عشر؛ ولا سيما الرغبة المحمومة في الهيمنة على العالم، والاستيلاء على المركز باسم العولمة؛ ولا سيما في جوانبها الاقتصادية والتجارية. فمن يحكم شرق أوروبا – بحسب مقولة ماكيندر الشهيرة– «يهيمن على منطقة المركز، ومن يحكم منطقة المركز يهيمن على الجزيرة العالمية، ومن يحكم الجزيرة يسيطر على العالم كله»[68]. لقد ظهرت التمثيلات النمطية للغربيين في الكثير من المؤلفات الهندية ولدى الفنانين الصينيين واليابانيين في أثناء هذه الحقبة.

إن التأثير الغربي في السياسة والثقافة والاقتصاد والعلم قد تم إنجازه وبناؤه بفضل الجغرافيا المتخيلة للغرب والشرق. وفي نهاية القرن التاسع عشر بدأ يتجلى العديد من الموضوعات الثقافية الغربية والصور في الفن والثقافة التشكيلية وبخاصة في اليابان الذي استدرج للاندماج في الجغرافيا الغربية اقتصادياً وسياسياً وتقنياً؛ إذ اكتسحت الكلمات والعبارات الإنجليزية اللغة اليابانية كما تكتسح الآن كثيراً من لغات العالم بفعل «الأمركة»،ثم امتد التأثير إلى الثقافة والفن، وظهر في لغة الخطاب الإشهاري وفي تضاعيف الثقافة الشعبية والعديد من الرسوم المتحركة، وكذا فن الكاريكاتور الذي كان يدور حول شخصيات ومعالم وتيمات وصور أسطورية منحدرة من تقاليد ثقافية غربية.

تضمن كتاب»الغرب في عيون أعدائه» دعاوى مختلفة عن الدعاوى التي تضمنتها بعض الكتابات الشرقية تعميماً والعربية تخصيصاً؛ وهو يأتي في سياق الخطاب المضاد؛ حيث يتناول تشويه صورة الغرب كما تتمثلها عيون الشرق التي تضمر له الحقد والكراهية، والنفور من الحضارة الغربية بوصفها مادية ومستهترة وفردية»، وإن أقرّا بأن هذه الكراهية انبثقت أول مرة من الغرب ذاته؛ وهذا رد فعل معاكس لمصطلح الاستشراق؛ وعليه فإن الاستغرابي مثل في أدبيات الغرب خطاباً مخالفاً في منطلقاته وأسسه ومقوماته ومقاصده لما هو عليه هذا المصطلح في أدبيات الثقافة الشرقية تعميما والعربية تخصيصا.

لقد استخدم جيمس جي كاريل المفهوم والمصطلح في دراسته الموسومة بـ: «صور من الغرب» المنشور في سنة 1995، ثم برز هذا المفهوم الجديد للاستغراب بروزاً قوياً بعد ظهور كتاب إدوارد سعيد حول الاستشراق الذي انتقد انتقاداً جريئاً الصورة النمطية التي يحملها الغرب على الشرق، فأثار ردوداً متباينة. ومن بين هذه الردود كتاب إيان بيريماوأفيشايمارغاليت بعنوان «الغرب في عيون أعدائه»: في سنة 2004 الذي يمثل نمطاً آخر من أنماط الخطاب المضاد.

فالاستغراب لدى المفكرين الغربيين لا يكاد يبرح الأبعاد الآتية:

-الأفق الاستفزازي ضد العرب والمسلمين[69].

- ضرورة النظر إلى الغرب من خارجه [جوزيف نيدهام].

- لوبثيون الأنثروبولوجي الفرنسي في كتابه "النظر غير المتكافئ" الذي لخص فكرة

استقدام مجموعة من الرواة الأفارقة ليدونوا ما يرونه في فرنسا وإيطاليا.

- رغبة الفيلسوف ميشال سير في إنقاذ سفينة نوح من الغرق.

استهدف نقد إدوارد سعيد الفساد الذي استشرى في أوصال بعض الحقول المعرفية في الغرب؛ لأننا كنا نتلقى علوم الغرب الإنسانية وحتى الحقة والطبيعية منها بمعزل عن أسيقتها الاجتماعية والثقافية، ولم نكن نلقي بالاً لآراء لايبنتز أو غيره من العلماء والمفكرين سوى أنه عالم رياضيات ومنطق وفيلسوف وله آراء في اللغة. ولم نربط ذلك بعداء لايبنتز إلى العرب والمسلمين، ولم نعرف أو يعرف بعضنا - على الأقل - أنه كان يحرض لويس الرابع على غزو العالم الإسلامي. فانكشفت عورات العلوم الغربية بأنها لم تكن بريئة الطوية، بل كان بعضها يبرر الغزو والاستعمار.

وعليه، فإن الاستغراب يروم وضع الغرب أمام المرآة، وبيان درجة الكراهية لدى الآخر حياله والموقف المتحفظ والعدائي من الحداثة على نحو ما يراه صاحبا كتاب "الغرب في عيون أعدائه"، وأن هذا العداء يتجاوز حدود النقد للغرب الكولونيالي في نظرهما؛ لأنه نقد تمليه إيديولوجيا عدائية مجردة من الإنسانية؛ وهكذا يغدو الغرب متصوراً أخلاقياً أكثر منه كياناً جغرافياً؛ وخصوصاً طغيان "الأمركة" التي وسمت الحضارة الغربية بميسمها؛ حيث ازدرى "الآخر" الحضارة الأمريكية بعد إلقاء القنبلة النووية على مدينتي ناكازاكيوهوريشيما، فبدت سياستها العالمية خالية من الإنسانية ومجردة من القيم الروحية والمبادئ الأخلاقية، وازدادت سوءتها في الصومال والعراق وأفغنستان.

وثمة تساؤل عن فظاعة ما حدث في 11 سبتمبر ووحشية ما يحدث في أفغانستان؛ ولا غرو أن هذا الغرب يُكثِر من أعدائه بازدياد الفقر والظلم والقهر ومساندته للديكتاتوريات واتباع سياسة المعايير المزدوجة ووقوفه المطلق مع احتلال فلسطين وتشريد شعب برمته؛ وهذا ما جعل بعضهم يكرهون المدنية الحديثة برخائها ورفاهيتها، كراهية قصوى مجسدة في جماعة بول بوت Pol Pot[70] التي أخلت فنوم بانه Phnom Penh[71] وسكانها في عام 1975.

يعدد الكاتبان القاسم المشترك بين خطاب حزب الله وبلاغته، وعقيدة الانتحاريين اليابانيين، وكتابات عالم الاجتماع الألماني فينر سومبارت Werner Sombart والروائيين

المتعاطفين مع النازية مثل أرنست يونجر Ernst Junger. ثمة سعي مدروس لإبراز وحشية العقل والفكر من حيث إنه نسق سيميائي يعتمد على حساب الأسماء كما يزعم كوندياك؛ والغاية من ذلك الإعلاء من الحدس والإرادة على نحو ما يتمثل لدى الألمان والروس. ولذا يصف بريما ومارغاليت الاستغراب بـ«الطعم السام» الذي يجب أن يكون حافزاً للاعتبار. ولكن ما يجب الوقوف عليه هنا أن الكاتبين يزعمان أن الاستغراب موضوع أكبر من أن يحصر في دائرة الاختلاف الثقافي، وأنه تخلق في رحم الغرب، ثم تم تسويقه إلى الشرق؛ وهذه القراءة تصدر عن إحساس متعال بالتمركز حول الذات.

إن هذا الطعم السام كان سمة بارزة لتاريخ أوروبا، وتجلى في الروح العدائية للحداثة؛ حيث تعود الإرهاصات الأولى لجينيالوجيا الكراهية إلى الرومانسية الألمانية والنازية والشيوعية، ثم الحركات الإسلامية المتعصبة لاحقاً. وعليه، فإن كتاب «الغرب في عيون أعدائه» لبيريماومارغاليت يؤكد أن أوروبا كانت الميلاد الأول لنشأة الاستغراب.

هناك طريقة أخرى تجلى فيها الاستغراب عبر محاولة لحماية الهويات والثقافات غير الغربية. إن مفاهيم روحانية الشرق ومادية الغرب تعد صوراً قابلة للتأويل على أنها ضرب من المقاومة، ولكن في المقابل تدل على قوة النماذج الغربية التي يسوقها. يمثل الاستغراب – بحسب بيريماومارغليت – ضرباً من المقاومة ذات النزعة الوطنية للغرب التي انبثقت منها–على أرض الواقع–أشكال من الرفض لقوى التحديث التي تعود جذورها إلى الثقافة الغربية نفسها، الأمر الذي أفرز حركات متطرفة وقوَّى شوكة المحافظين الطوباويين الذين تعاملوا مع الرأسمالية واللبيرالية والعلمانية على أنها قوى مدمرة، وناصبوها الكراهية والعداء، وشككوا في وطنية دعاتها.

وعلى الرغم من المقاومة للحداثة فإن ذلك يعكس لقاء حقيقياً بين الثقافات الأجنبية وإن كان مشوباً بالتوتر؛ بيد أن كثيرا من التجليات اللاحقة للاستغراب خانت جهود بعض المثقفين الشرقيين الحاملين للأفكار الغربية، وتعاملت معهم على أنهم وكلاء لها في بلدانهم يضطلعون بخدمة مشروعها، فظهروا في بلداهم على أنهم «عملاء» و«متغربون» و«أحزاب للغرب[72]» لا صلة لهم باستحقاقات الدولة الوطنية تحت مسميات الجمعيات الأهلية أو المجتمع المدني، ورفض العقلانية والرومانسية للحاجة الروحية المفترضة للمواطنين الديمقراطيين الليبراليين.

إنه يعيد رسم ذلك لمشهد الرومانسية الألمانية وإلى النقاش بين الشرقيين والسلافيين في القرن التاسع عشر في روسيا مؤكداً الحجج المشابهة التي تظهر بأشكال مختلفة في الحركة الماوية والإسلاموية والنزعة الوطنية اليابانية في أثناء الحرب وحركات أخرى. بيد أن ألاستيربونيت يرفض هذا التحليل لكونه يعبر عن نزعة التمركز الأوروبي بأنواعه: الديني والعرقي والعقلي، ثم سادت الدعوى التي نشأ بموجبها الترابط بين غير الغربيين والتقاليد الثقافية الغربية. سبق أن ألمحنا بأن الاستغراب تمخض عن نقد الاستشراق، ونشأ نتيجة لتشويه صورة الغرب، والشعور القديم بالعداء له الذي هو في ازدياد مطرد. فما الإستراتيجيا التي اتبعها النقد في خطابه المضاد؟

نقد الاستشراق

يتضمن خطاب الاستغراب ملفوظات متعددة حاملة لمحتوى نقدي يستهدف»الاستشراق» الخارجي والداخلي، ويراد لهذه الملفوظات أن تحدد غاياتها من نقد الاستشراق الخارجي الذي أبلى فيه إدوارد سعيد بلاء حسناً، ونقد الاستشراق الداخلي وهو بيت القصيد في الأدبيات العربية؛ حيث تجلى الاستغراب في صورة الخطاب الذي يتخذ موقفاً مضاداً لظاهرة «التغريب». لقد «نشأ «علم الاستغراب» occidentalism في مواجهة التغريب westernization "[73]؛ وذلك لأنه يشكل عقبة كأداء في طريق التحرر الثقافي والاستقلال الحضاري، وانتقال الذات من طور النقل السلفوي بشقيه العربي والغربي إلى طور الإبداع.

تتفاوت لغة الخطاب المضاد للاستشراق في الكتابات العربية التي تباينت في إبراز ما للظاهرة[74] وما عليها. فالدراسة العلمية تقتضي أن يتعامل الخطاب المضاد مع خطاب الاستشراق بأنه متعدد الأصوات ومتنوع المشارب؛ إذ ينبغي النظر إلى «هذه الظاهرة بكلياتها، وبما لها وما عليها، وهو واجب الباحث الذي يتحرى الإنصاف من نفسه، فلا يندفع بلا دليل، ولا يعمم حيث يجب التخصيص»[75] . فإذا وقفنا على عتبات العناوين في هذا الخطاب، ألفينا بعض النقود[76] تورد مفردة الاستشراق مصدراً مجرداً من أي صفة، وهناك عناوين تتحدث عن المستشرقين[77] في صيغة اسم الفاعل الموصوف وغير الموصوف، وبعضها تكون فيه المفردة موصوفة[78] أو منسوبة[79] أو مركبة[80].

يعتـرف الخطـاب المضاد في نقده للاستشـراق بأنه «فكر[81]» وأن المستشـرقين علماء[82] وطبقـات[83]، وأنهم أصحاب منهج[84]، وأنهم يسـتخدمون أسـاليب حديثة في تحقيق مراميهم المتجسدة في «كتاباتهم» و«دراساتهم»، يتصف بعضها بـ«العالمية[85]». وللاستشراق – من حيث إنه ممارسة عقلية غربية[86]– تأثير قوي في الذات؛ إذ يتبع أساليب ماكرة في إذكاء الصراع[87] عن طريق الهجوم والغزو[88] والاختراق[89] والمكائد[90] والتآمر[91]، ويتسم بالخطر[92] والسموم[93] والتضليـل والأباطيـل[94] والأوهـام[95] والشـبهات[96] والوعـي السـالب[97] والهجمـات المغرضة[98]؛ وذلك من أجل تسويق رسالة الاستعمار[99]، وتحركه روح الصليبية المستحدثة[100]. ولهذا يصنفه الخطاب المضاد في دائرة قوى الشـر[101] والتبشـير[102] والتنصير[103]، ويحذر من خطـر الابتعـاث[104] وتقهقـر الأمة الإسـلامية[105]؛ وعليه نلفـي بعض المقاربات تسـم رؤيتها بالإسـلامية فـي قراءتها لخطاب الاستشـراق، وتشـكك في موضوعيـة المستشـرقين[106]، وتقر بهزيمة الاستشـراق[107]، بل لا تجد حرجاً في التشـكيك في موضوعيته، والنظر إليه على أنه من فعاليات التمركز الغربي حول الذات[108] «بوصفها المرجعية الأساسـية لتحديد أهمية كل شيء وقيمته وإحالة الآخر إلى مكون هامشي لا ينضوي على القيمة بذاته»[109].

انكـب نقد الخطاب المضـاد على الموضوعـات التي ركز عليها الاستشـراق، وظل يحوم حولها الاسـتغراب، ونذكر منها: القرآن العظيم[110] والوحي[111] والإسـلام[112]، والرسـول – صلـى اللـه عليـه وسـلم –[113]ونبوتـه[114] وزوجاتـه وسـيرته النبويـة[115] ومصـادر التشـريع الإسـلامية[116] والحديـث النبـوي الشـريف[117] ونقـد روايتـه[118] والفقـه الإسـلامي[119] وانتشـار الإسـلام[120] والتصـوف الإسـلامي[121] ودراسـة الأديان[122]والمرأة[123]والتعليم[124] والتاريخ الإسـلامي[125] والفلسـفة الإسـلامية[126] والشـرق الأوسـط[127] ومشـكلات الحضارة[128] والفن[129]واللغة العربية[130] والأدب العربي وتاريخه[131] والعلوم الإنسانية[132]

لقـد اختلفت الإسـتراتيجيا التي تعامل فيها الخطاب المضـاد في أثناء تقفيه للأدبيات العربية حول الاستشـراق، ومن أسـاليب هذه الإسـتراتيجيا: ممارسـة النقد ووضع خطاب الاستشـراق فـي الميـزان[133] باتباع سـبيل التحذير[134]وإبـراز الأخطـاء[135] واللجوء إلى آليـات الدفـاع[136] والاعتماد علـى حق الـرد[137] والانتقال من آليات الدفاع إلى مسـلك المواجهة[138]؛ مما يترتب عليه استحقاق التحدي[139] وتقديم البديل عبر رؤية إسلامية[140]؛

بيـد أن الخطـاب الغربي وفي إطار ممارسـته النقـد الذاتي على متصوراته فإنـه ينتهي إلى أن الاستشـراق والاسـتغراب صناعة غربية تتسـم بالحيوية؛ لهذا لا تكاد تخلـو العلاقة بينهما من سـوء المظنات، ولم يسـلم خطابهمـا من عاديات الـروح الباطولوجية اسـتهواء ونفوراً واشمئزازاً ورهاباً.

لم يحقق الاستغراب كل أهدافه؛ غير أنه لا ينفك يتلون بأشكال مختلفة ينبثق منها. فالغرب يحاول أن يسـتدرج الآخر للإقامة بين أحضانه. وعليه فإن الخطاب المضاد يتضمن نقداً مزدوجا للذات وللآخر؛ غير أن هذا النقد المزدوج يفرز توتراً حيوياً ينتهي بتسليم أمره إلى الفيض الجارف للعولمة أو لصندوق النقد الدولي والبنك العالمي ومنظمة التجارة العالمية بوصفهـا «الثالوث غير المقدس unholy trinity بتوصيف ريتشـار بيـت Richardpeet. ويبقى التساؤل ملحاً ما الغاية من نشوء علم الاستغراب؟

ما الهدف من الاستغراب؟

قبـل الحديث عن الأهـداف التي يتوخاها الاسـتغراب ينبغي الاقتراب من السـؤال الآتـي وتأمل حيثياته: لماذا أصبح الغرب موضوعاً للدراسـة؟ أتنبع هذه الدراسـة من وعي مسـؤول أم تحركهـا دوافـع لا شـعورية مصدرهـا الحقـد الدفين من جـراء القهـر التاريخي والتخلـف الحضاري والانتقام من جرائم الاسـتعمار؟ ألا تصبح المعركة مع الاستشـراقين «الغربـي والعربـي» مجرد زوبعة فـي فنجان كمـا كان يتصورذلك فؤاد زكريـا[141]. يطرح المشـتغلون في هذا الحقـل أهدافاً عديدة بعضها مشـترك، وبعضها الآخـر متباين؛ ولكن ما هـو بـيِّن أن المفهوم – كما سـبقت الإشـارة إلـى ذلك – لم يـرس على بر الأمـان، وتتحدد معالمـه بحيث يكون قاسـماً مشـتركاً بين أفراد مجتمع المعرفة إن صـح الوصف. ولهذا نرى أن الخطـاب المضاد للتغريب تشـتبك فيه المعرفة بالقوة وفق متصورات غرامشـي والسـلطة بالخطاب كما رام ذلك إدوار سعيد في نقده للاستشراق.

سـتفرض علينـا المسـوغات في نقـد الفرضيات التي قدمها حسـن حنفي في شـكل «مقدمة» نقداً إبسـتمولوجياً يمتد إلى الأسـس والدوافع والخطاب. ولا سـيما أن هذا العلم يبدو أنه نشـأ في مخاض روح الصراع بين «الشـرق والغرب» وأزمة الأسـئلة الراكدة الذي كان يؤطرها منطق الثنائيات: «الإسلام واليهودية–المسيحية» و«التقدم والتخلف» و«المركز

والمحيط» و«الذات والآخر» و«المستعمِر والمستعمَر»؛ ولهذا تبدو هذه المعرفة شكلاً من أشكال الإجابة عن واقع مازال «الشرق» لم يهتد فيه إلى الوصول إلى تجاوز أسئلته القديمة التي طرحها الإصلاحيون والتنويريون.

إن السؤال المحوري كيف يتم مقاربة «موضوع الغرب»؟ وما الجهاز المفاهيمي الذي يصطنعه الفكر العربي في بناء هذا العلم الموسوم بـ«الاستغراب»؟ هل أفسيستعمل أدوات المعرفة الغربية في فهم الغرب ذاته أم أنه يبحث عن متصورات منهجية جديدة متحررة من قوة المعرفة الغربية وسلطتها المهيمنة؟ آلاستغراب علم أم أيديولوجيا؟ هل من دواعي ظهور الاستغراب فشل التحديث وطغيان التغريب والتماهي بالغرب؟

يبدو أن ثمة وعياً لدى من يسعون إلى بناء هذا «العلم» بأنه ليس مجرد القيام بعملية تأريخية للمعرفة الغربية تنهض على التبويب والتصنيف، واستظهار جوانبها المعلنة والخفية على السواء؛ ولكن إذا كانت الدراسات المقارنة قد هيمنت منذ القرن التاسع عشر على العلوم تعميماً والإنسانية تخصيصاً فإن «علم الاستغراب» لا يبدو أنه يستطيع التحرر منها في مدارسة «الآخر» والاستعانة بعلم الصورة imagologie من حيث هو منهج يطبق في دراسات الأدب المقارن، والوقوف على بنية التصور التي تتشكل في أدب الكاتب حيال الأجنبي لبلد أو بلدان عديدة مثلما كان الحال بين الرومانسية والشرق. إن علم الصورة يهتم على وجه الخصوص بالغيرية وبتاريخ الأفكار، وله صلة بعلم النفس الإثنيethnopsychologie. هناك إقرار بوجود وعي جديد في العقدين الأخيرين من القرن العشرين، وخصوصاً في الشرق العربي والإسلامي. هل هذا الوعي ذو طبيعة انقلابية في التصور يختلف عما أشرنا إليه في حقل دراسات الأدب المقارن؟

يتجلى الهدف من علم الاستغراب فيما حدده حسن حنفي[142] بأنه «دراسة الغرب بوصفه المغاير والمخالف للأنا من أجل تطوير هذه الأنا»[143]. إن اللافت في الخطاب المضاد للاستغراب أنه لا يقف المتأمل فيه على الفصل بين الدوافع والأهداف؛ وإن أضفى عليه أشياعه صفة العلم التي لا تكاد تخلو من صفاء العبارة. إن دوافع الخطاب المضاد تتمثل في المنطلقات التي جعلت الاستغراب يتحرك ليكون «ذاتاً» دارسة بدل أن يكون موضوعاً مدروساً. بينما الأهداف هي الغايات التي يتوخى هذا الخطاب تحقيقها في ضوء الموضوعية والحياد لتكون مطارحاته الحجاجية مقنعة ومتنكبة مسلك التعميم.

تنهـض أدبيات الاسـتغراب في الخطـاب المضاد على إقامة حوار مـع «المتغربين» أو «الاستشراق المحلي» أو «الاستشراق العربي» أو «الغرب العربي[144]»، وهذا الحوار يستند إلـى الممارسـة النقدية لخطاب التغريـب. فالحوار يسـتهدف الخطاب بالنفـي والقضاء على وجوده؛ وذلك من بين الأهداف التي يتوخاها الاسـتغراب. فهو كما يتصوره أحمد الشيخ «النفـي والقضاء على حالة الاستشـراق العربي السـائدة في بلادنا، هذا مـا أتصوره»[145]. نفهم من الإشـارات السـابقات أن الغاية من ممارسـة الحوار النقدي مع المتغربين التفكير في القضاء على حالة الاستشـراق العربي السـائدة. ولا ندري ما الوسـائل التي ستستخدم في عملية القضاء على التغريب، وإزالته مع ملازمة الحوار؟

لقـد تحـول «الغرب» إلى أسـطورة في متخيل «الشـرق»، بل إن الغـرب يرتكز- من حيث هو أمبراطورية سيميائية تتباين علاماتها عن علامات الشرق - على الأسس الفكرية والثقافية التي ترتسم صورتها في أنماط العيش؛ وهو بذلك يجدد أساطيره كل مرة، وتستهويه فكرة الموت والنهايات. إن هذه الصورة للغرب يُراد لها أن تكون عابرة للقارات ومتجاوزة للأعراق ومتخطية للأديان. ومن دعاوى هذه الأسـطورة هو تمثيل الإنسـانية، والتفرد بمزية المركـز. ومـا عداه فإن الآخرين يمثلون الأطـراف والهوامش، علماً بـأن مقولة المركز «كانت الركيزة الأولى للفكر العسـكري للغرب كله»[146]. وقد كان الاستشـراق في نشـأته سـدنة هذا الفكر العسكري.

تحـدو الباحثـين والمفكرين المهتمين بالاسـتغراب رغبة جادة في تقـديم قراءة مغايرة لفلسـفة التاريخ في أزهى قرون الوعي الغربي وهما القرنان الثامن عشر والتاسع عشر قرنا الأنوار والنزعة الإنسانية. وفي هذا السياق يحاول أشياع الاستغراب إسقاط أسطورة تمثيل الغـرب للإنسـانية، ويجعلون ذلك مـن الأهداف التـي يرومون تحقيقها عبـر تجديد القراءة النقديـة العربيـة لتاريخ الفكر الفلسـفي الأوروبـي، وإعادة صوغه صوغاً يجـرده من فكرة الاستعلاء والتمركز حول الذات، ويضع «الحضارة الغربية» في حجمها الطبيعي من حيث إنها لحظة تاريخية في حياة البشر دون إضفاء الهالة الأسطورية على إبداعاتها.

إن هـذا النقـد على بينة بأن الوعي بالتاريخ لدينا مـازال «غائباً. بل إننا لم نبحث بعد أسـباب الغيـاب، ولم نعرف بعد مقومات الحضور. ولا يوجد شـعب ينهـض أو يأفل دون أن تظهـر لديه فلسـفة التاريخ تعلن عـن نهضته، كما نفعل الآن أو تعلن عـن نهايته كما هو

الحال في فلسفات التاريخ المعاصرة. فلسفة التاريخ هي المؤشر على حركة الشعوب إقداماً أو إحجاماً، تقدماً أو نكوصاً»[147]. وهكذا يبدو أن الاستغراب يدفع بالعالمين العربي والإسلامي إلى الدخول مجرى التاريخ من أجل تحقيق الذات، والاقتراب من المركز من حيث هو «محور جغرافي للتاريخ»[148].

إن من دوافع «الاستغراب» مواجهة المشكلات وعدم التهرب من فحصها وقراءتها قراءة ناقدة مثلما هو الحال بخصوص التوتر بين «الشرق والغرب» أو بين «الشمال والجنوب» أو بين «العالم الحر والعالم المستبد». علماً بأن الغرب من حيث الجغرافيا تحيط به كثيراً من مظنات الالتباس، ولا يبدو أنه يمثل كياناً متماسكاً؛ إذ إن هذه الجغرافيا تتسع إلى اليابان، ولا تتسع إلى الصين ولا إلى روسيا[149] مثلاً. في حين يجتهد الغرب في النأي بنفسه عن الانتماء إلى الجغرافيا المادية، ويقدم صورته على أنه نسق سيميائي دال قوامه السلوك ونمط العيش في الحياة؛ وقد نجح إلى حد ما في تسويق هذه الصورة تسويقاً على نطاق واسع حتى اتخذ مفهوم الغرب صفة كونية. علما بأن الصورة[150] كثيراً ما تربك صفاء التفكير ونقاء اللغة حينما تلبس العلامة، وتبدو أنها مجانبة لفكرتي تطابق الواقع، أوانعكاسه.

يقود هذا التوتر النابع من «الصراع» أو «الصدام» بين الثقافتين والحضارتين –في نظر أحمد الشيخ– إلى طلائع الوعي العربي الجديد الذي بدأ يلوح في الأفق؛ ولا سيما بعد بروز حركات التحرير، فاكتسب الرعيل الجديد وعياً نقدياً مخالفاً لسلفه في نظرته للغرب «بكل ما يمثله علمياً وثقافياً وسياسياً وحضارياً، ثم لماذا يبزغ هذا الوعي الجديد في الشرق العربي والإسلامي، وفي هذه الفترة بالذات وليس قبلها أو بعدها. وعلى أية أنقاض يتقدم هذا الوعي الجديد بالغرب»[151]. يجد هذا الوعي حضوره في المسوغات التي يطرحها حسن حنفي بغية تأسيس علم الاستغراب، ويمكن إجمالها على النحو الآتي –وإن كنا قد ألمحنا إلى بعضها سالفاً–:

- فك عقدة النقص التاريخية في علاقة الأنا بالآخر.
- القضاء على مركب العظمة لدى الآخر الغربي.
- تحويل الغرب من ذات دارس إلى موضوع مدروس.
- القضاء على مركب النقص لدى الأنا بتحويله من موضوع مدروس إلى ذات دارس

في رده على منهجية الاستشراق التي تحيل الأنا دائماً إلى الآخر للقضاء على إبداعها وأصالتها؛ وفي هذا السياق يحدد حسن حنفي موضوع الاستغراب بقوله: "أردت أن أقوم بالحركة العكسية لصالحهم، وكرد على مواقفهم التي تعودوا عليها؛ وذلك بإحالة الآخر إلى الأنا؛ وهو موضوع علم "الاستغراب"[152].

- مهمته القضاء على الإحساس بالنقص أمام الغرب، لغة وثقافة وعلماً مذاهب ونظريات وآراء مما يخلق فيهم إحساساً بالدونية.
- القضاء على المركزية الأوروبية [ثمة داخل الغرب من يصبو إلى تحقيق هذه الغاية]
- مهمة هذا العلم الجديد رد ثقافة الغرب إلى حدوده الطبيعية.
- التخلص من سيطرته على أجهزة الإعلام وهيمنته على وكالات الأنباء، ودور النشر الكبرى، ومراكز الأبحاث العلمية، والاستخبارات العامة.
- نقد مصادر تاريخ الفكر الغربي على ضوء نقد التمركز حول الذات.
- جذب انتباه الباحثين العرب والعجم، ومراكز البحث.
- تجديد الإدراك للغرب وضرورة إدراك جديد لطبيعة البعثات العلمية في العواصم الغربية.

-ضرورة دراسة "المحيط الغربي في المجالات التي يكون من شأنها تصحيح التفاوت بيننا وبينه"[153].

ولعل من الأمور التي تسترعي الانتباه سيميائياً تحرك الخطاب المضاد لحماية الأنساق الثقافية وصلتها المباشرة بما يروم الاستغراب تحقيقه من أهداف وتحقيق الاستقلال الحضاري.

حماية الأنساق الرمزية

ترتبط وظيفة الاستغراب بما يمكن تسميته حماية الأنساق الرمزية من مسوخ «التغريب» مثل: اللغة والعمارة واللباس والجسد؛ لأن الصراع أكثر مما يتجلى في هذه الأنساق الرمزية، ولا سيما موقف بعض الدول الغربية وبخاصة فرنسا من الحجاب والنقاب

واللحية؛ إذ لا تكاد تنفصل مسألة «حماية الأنساق الرمزية» عن هدف تحقيق الاستقلالين الذاتي والحضاري.

إذا كان الدافع وراء نشأة الاستغراب «مواجهة» أو مقاومة «التغريب»، فما الحمولة الدلالية التي يرفدها استعمال مفردات «المواجهة» أو «المقاومة» أو حتى «المحاربة»؟ إن الغرض من المواجهة أو المقاومة أو المحاربة تحقيق الاستقلال. ولكن أي استقلال يراد نشدانه؟ يجيب حسن حنفي عن هذه التساؤلات من منطلق أن الاستغراب يتقصد مواجهة الاستشراق. لقد «امتد أثره ليس فقط إلى الحياة الثقافية وتصوراتنا للعالم وهدد استقلالنا الحضاري بل امتد إلى أساليب الحياة اليومية ونقاء اللغة ومظاهر الحياة العامة وفن العمارة. صاحب الانفتاح الاقتصادي في الرأسمالية العالمية الانفتاح اللغوي على الألفاظ الأجنبية. فكل كلمة عربية تتجاوز عقدة نقصها بإلحاقها بكلمة غربية أو تنقل الألفاظ الإفرنجية إلى الحروف العربية»[154]. إن ثمة «خطراً» محدقا بالاستقلال الحضاري وبالحياة الثقافية ممثلة في «أساليب الحياة» و»نقاء اللغة:

هل يوجد نقاء خالص في أي لغة من اللغات؟ أم أن الأمر يقصد به توصيف التأثير السلبي للرأسمالية العالمية –التي لبست لبوس "العولمة"– وتشخيصه، من حيث إن "اللغة العربية الفصحى" أصابها الوهن والضياع، فاختلطت باللغات الأجنبية[155] وباللهجات والعاميات المحلية، و»لم يعد أحد قادراً لا من القادة ولا من رجال الإعلام ولا حتى من المثقفين وأساتذة الجامعات الحديث بلغة عربية سليمة دون لحن...وأصبحنا نُعرف بلهجاتنا العامية المصرية، وليس بلغتنا العربية العربية الفصحى إلا في قراءة القرآن الكريم. وهروباً من الإعراب نسكن آخر الكلمات، وهو أضعف الإيمان»[156]. إن المهام المنوطة بالاستغراب في نظر حسن حنفي أن يواجه هذا التغريب الذي أصاب ركناً مكيناً من أركان الهوية. ويتعلق الأمر – هنا – بالنسق السيميائي الذي تؤلفه العلاقات الثقافية بين أفراد المجتمع الواحد. ومن هنا ندرك لماذا كان الوعي بالذات[157] في الثقافة الغربية [الأوروبية تحديدا] يتشكل عبر الآخر في معتقداته وفكره وثقافته التي تشكل هويته؛ ولا سيما في زمن العولمة الثقافية[158].

مظاهر الحياة العامة

مـن مظاهـر الحيـاة العامة مـا يتصل بالثقافـة والسـلوك؛ ونكتفي بذكر: فـن العمارة واللبـاس. لقد مس التهجين فن العمارة، وأفسـد هويتهـا. لقد "تحولت مدننا إلى خليط من أسـاليب العمـارة لا هوية لها. فلا هي تقليدية حافظت علـى الطابع القديم، ولا هي حديثة لهـا طابع الحداثـة، ولا هي عملية ناتجة عن مقتضيات البيئـة"[159]. وهذا مظهر بارز للعيان مـن مظاهـر التغريب، وافتقار الذات للإبداع. أما اللباس فيعد من الآثار السـلبية للتغريب؛ ولهـذا ننظر إلـى التمسـك باللبـاس التقليـدي على أنـه ضرب من ضـروب المقاومـة لحالة الاستلاب الذي يهدد كيان الهوية؛ ولا سيما أن اللباس نسق سيميائي على درجة غير قليلة مـن التعقيـد[160]، كونه مادة وصورة ولغة؛ لهذا انخرط اللبـاس في معركة التغريب؛ حيث «بـدأ رد الفعل بالزي الإسـلامي، واللحية والجلباب كأحد مظاهر التمسـك بالهوية»[161]، ورفع الأذان في البرلمان.

وعليه فإن الاستغراب يسعى إلى تحقيق الهدفين الآتيين:

- تجاوز النقل والترجمة والتلخيص والعرض.
- الدعوة إلى الإبداع والتأليف والتنظير المباشر للواقع.

قـد تبدو للناظـر المجرد أن مثل هذه الأهـداف هي أمنيات قد تتحـول إلى أوهام إذا عجـزت عن التحقيق على أرض الواقع. ولكن من الأهـداف النبيلة التي يناضل من أجلها خطاب الاستغراب في أدبيات الثقافة العربية المعاصرة استكمال تحقيق الاستقلالين الذاتي والحضاري بعد الحصول على السيادة الترابية بعد معارك التحرير.

الاستقلال الحضاري

إن علاقة الاستغراب بفكرة الاستقلال السياسي تفسر طبيعة الخطاب المضاد لظاهرة التغريـب مـن حيث إن هذا الخطاب يتخذ إسـتراتيجية مضادة لمقاومة اسـتلاب الشـخصية والتبعية للغرب كما كان يتصورها طه حسـين «إذا كان الإسـلام قد تقبل الحضارة اليونانية، فلم لا يتقبل الحضارة الأوربية...يجب أن نذهب مذهبها، ونسير سيرتها في التشريع»[162]، وكذلك كان شـأن سلامة موسـى في هذا الانقياد الذي عرف عنه بسخافة الرابطة الشرقية،

ووقاحة الرابطة الدينية وكراهيته للشرق وكفره به وإحساسه بالغربة عنه، وإيمانه بالغرب وحبه لأوروبا وتعلقه بها وقربه منها.

ولهذا ينتقد الاستغراب فقدان الاستقلال السياسي والثقافي والحضاري لدى دعاة التغريب، ويروم تصحيح صورة الإسلام والعروبة التي شوهها خطاب الاستشراق وبخاصة مع مطلع القرن التاسع عشر. فالغرب ذو وجوه مختلفة مثل غيره، ومقاصد متباينة ومركزيات متعدد، وقد مارس فعل «الإغواء» ومازال بإستراتيجيات محكمة الصنعة.

لقد تمخض عن هذه الغواية «تهميش كل الثقافات المتاخمة للحضارة الغربية، ولعب مبدأ الغلبة على حلبة الإقصاء والاستبعاد، وظل أدباؤنا على زمن طويل مولعين بثقافة الآخر، وساهموا بدورهم في تهميش الأنا، وسادت المقتربات الغربية»[163]. إن هذا التصور – على وجاهته – يطرح أكثر من تساؤل فإن إبراهيم عبد الله ومحمد برادة وغيرهما ممن لهم سهم وافر وحضور وازن في الثقافة العربية المعاصرة وهم يمارسون فعل «الإدانة» بدل النقد الذاتي، و«ينتقدون» تبعية الفكر والنقد والثقافة للآخر قد لا ينكرون أنهم جزء لا يتجزأ من الظاهرة نفسها، وأغلب الظن أن النقد يتنكب أن يكون مجرد غيرة خالصة أو مجرد توصيف بريء. وقد دأب نقد بعض الباحثين أن يتجه إلى القرين؛ ولكنه يلبس لبوس نقد الظاهرة.

يسعى الغرب إلى تغيير سياسته – في نظر الاستغراب –، وبدا داعياً إلى فكرة الاندماج في المجتمع كما يتجلى ذلك في الخطاب السياسي الفرنسي حيال المهاجرين وبخاصة المغاربة، وهي محاولة للالتفاف على الحقيقة لتجميل بشاعة وجه التغريب. إن التعامل مع الغرب – في نظر زكي نجيب محمود– «ليست تبعية، وإنما مشاركة حضارية... إن التبعية ليست في العلم، ولكن في الثقافة التي تشكل الهوية التي ينبغي أن ينفرد بها كل شعب»[164]. إن الفصل بين العلم والثقافة قد يبدو مقنعاً من وجوه إذا اعتمدنا المقاربة الذرية في تحليل علاقة الأنا بالآخر.

لا تستسيغ المقاربة البنوية للظاهرة مثل هذا الفصل الفج بين مكونات الحضارة. فكثير من النقاد والمفكرين لا يخفون أن تكوينهم مدين إلى الثقافة الغربية؛ لكنهم أغلبهم لا يحب أن يوصف بالتبعية للغرب؛ ومن هؤلاء أدونيس الذي يعرف بقوله: «أحب هنا أن اعترف

بأنني كنت بين من أخذوا بثقافة الغرب؛ غير أنني كنت، كذلك، بين الأوائل الذين ما لبثوا أن تجاوزوا ذلك، وقد تسلحوا بوعي ومفهومات تمكنهم من أن يعيدوا قراءة موروثهم بنظرة جديدة، وأن يحققوا استقلالهم الثقافي الذاتي»[165]. لا غضاضة في الإقرار بدور الغرب في بعث الوعي الإسلامي، وبسط المناهج العلمية في دراسة الظواهر وتحليلها، وترسيخ التفكير العقلاني في أدبيات الثقافة العربية والإسلامية سلباً أو إيجابا. ومثل أدونيس كثير ممن يقرون بدور الغرب في تثقيفهم؛ لكن وعيهم النقدي حررهم من أسر هذه الثقافة، والتبعية لها، وليس كما الشأن من هم على شاكلة طه حسين أو سلامة موسى. فهل يمكن النظر إلى هذا الاعتراف بأنه تضليل ليس إلا، لا يدفع عنه «جريرة» التغريب؟ فخطاب الاستغراب لمَّا تتضح له الرؤية في التعامل مع «التغريب»، وغالباً ما يرتد إليه بصره النقدي قلقاً وهو حسير.

نقد التغريب

لا يريد الخطاب المضاد أن يخفف الوطء على «الغرب»، بل يقر بمشروعية كراهيته، ومواجهته والتشهير به وممارسة الضغط عليه. فهل الاستغراب يرادف التغريب أم أن من غاياته القضاء عليه أو إقصاءه بوصفه استشراقاً محلياً أو «غرباً عربياً»؟ وكان الخطاب المضاد سالفاً لا يكاد يفرق بينه وبين الاستشراق في دفع شبهاته[166]. وكثيراً ما يتم وصف التغريب إشارة لا تصريحاً بأزمة المثقفين[167]. وهنا نلفي الخطاب المضاد يتلطف في العبارة، ولا يستسلم لعنف اللغة في تقريع الخصوم.

إن الاستغراب يتخذ الغرب موضوعاً للدراسة العلمية الواعية من خارجه. «إنه يتضمن دراسة واعية للغرب من خارجه، ومن ثقافة أخرى لها ملامحها ومقوماتها»[168]، بينما يشير إلى أن من بين أهداف الاستغراب المقاومة من حيث هي ممارسة اجتماعية تؤلف نظام الخطاب المضاد لثقافة الترويج[169] التي يصطنعها التغريب. إن الترويج لهذه الثقافة يبتغي «إمحاء إقامة الملامح الوطنية والقومية وإضعاف فرص الإبداع والازدهار»[170]، أو إقامة حوار مع الاستشراق المحلي قبل انتقاد الاستشراق الخارجي، ولا يرى سبيلاً لإرساء قواعد الاستغراب إلا بالقضاء على مظاهر التبعية للغرب وآثارها السلبية في الهوية الثقافية. ومن أبرز مظاهر هذه الآثار ظاهرة الاستلاب:

- حالة الانقياد الثقافي للنخب المحلية.
- التماهي مع الأنموذج الغربي.
- الاستتباع بدل الإبداع .
- التدجين للثقافة الوطنية.
- الحداثة المعطوبة وغلبة الاستعارة من الآخر.
- تبرير دعاوى الحداثويين بالبحث عن نماذج لتوكيد انتظام الحداثة في سياق التراث العربي نقداً وأدباً ولغة وبلاغة.
- هيمنة الثقافة الغربية والقطيعة مع الذات.
- وهم الشراكة والتفاعل والمثاقفة؛ على الرغم من أن من يدعو إلى هذه المثاقفة يسوغون لذلك بأنها مألوفة في الثقافة العربية التي عرفتها «على مدى ثلاثة قرون بممارستها شروط المثاقفة بلا حدود، ومن غير خوف من أن تتحول المثقافة إلى تبدل في الهوية الحضارية أو حتى ضياعها» [171].

يشمل موضوع الاستغراب المعرفة الإنسانية قاطبة في الشعر والنقد والقصة والرواية والفلسفة. ومثال على ذلك: عصفور من الشرق لتوفيق الحكيم[172] والحي اللاتيني، لسهيل إدريس، وموسم الهجرة، للطيب صالح، وغيرها من الأعمال الإبداعية. لهذه التساؤلات تنطبق على الغرب الذي يبدو أنه تتنازعه الجغرافيتان الطبيعية والتخيلية؟ هذا إذا سلمنا جدلاً بأن الغرب كتلة رمزية متجانسة. فإذا كانت وظيفة الاستغراب تتمثل في «فك عقدة النقص التاريخية التي وسمت علاقة الأنا بالآخر»، فإن الطهطاوي أول من تحدث عن جدل الأنا والآخر.

إن رحلته تصور الأنا في مرآة الآخر، والآخر في مرآة الأنا؛ لكنه لم يمتلك الوعي النقدي لتقديم دراسة لموضوع الغرب؛ بيد أن جابر عصفور[173] يضعه في إطار «أدب التعرف إلى الآخر». إن الصورة التي قدمها الطهطاوي عن فرنسا تندرج في الغايات التي تقصدها الاستغراب بغية التنبيه لحال التخلف المزري الذي هو عليه حال المصريين وحال الأمة العربية وحتى الإسلامية، وعلى هذا النحو يندرج خطاب الطهطاوي في ضرورة التحديث، وأن حال الأمة لا بد أن يتغير.

ومثـل هـذا النحـو اصطنعه زكـي نجيب محمـود حين أوبتـه من لنـدن ألف كتاب «المنطـق الوضعـي» للرد على الوضع الـذي وجد عليه الفكر المصري الغـارق في الخرافة والتصوف واللاعقلانية. هل الدعوة إلى تطوير الذات والشـروع في التحديث هي الغاية مـن التحديـث؟ إذا سـلمنا جـدلاً بهذا الهـدف النبيل الذي يرسـمه لنا الاسـتغراب فهل نـدرج كتابـات التنويريين والحداثيين والعلمانيـين والليبراليين والماركسـيين وحتى بعض الإسـلاميين ضمن مشمولات الاستغراب الذي يبتغي تطوير الذات؟ هل التنبيه أو النقل سبيل إلى الاستغراب؟

يقـدم حسـن حنفي قراءة مغايـرة للنظر إلى صـورة الغرب فلا هو ظـلام كما يقدمه محمد الغزالي «ظلام من الغرب» ولا هو شروق كما يقدمه زكي نجيب محمود «شروق من الغرب» أو حتى الموقف الوسـط الذي يقدمه الفكر الإصلاحي لدى جمال الدين الأفغاني ومحمـد عبـده. إن «علـم الاسـتغراب يمثـل موقفـاً مغايـراً. فليس الغـرب مكانـاً للظلام، وليس مكاناً للشـروق كذلك، وإنما هو موضوع للدراسـة»[174]. فالاعتراض لا يكون على التحديث؛ وإنما على اختزاله في نمط واحد.

يمكـن أن يحـدث طلب المعرفة والإبـداع الثقافـي والعلمي خارج المركزيـة الغربية. ويمكـن للتحضـر أن يقع خارج سـلطة الغرب، وعكس ذلك لم يتصـوره كثير من المفكرين العرب. إن علم الاستغراب في نظر حسن حنفي «من أجل إيجاد منطق لعلاقة الأنا بالآخر، وأنـواع الحركة بينهما. [وهـي] متعددة المراحل والجوانب»[175]. وهـذا المنطق لا يصدر إلا عن قراءة واعية للتاريخ الغربي تعميماً والتاريخ العربي لا تخصيصاً.

مـن المعلـوم أن صورة الغرب اليـوم لم تعد لدى بعـض الرعيل الجديـد من المثقفين والمفكريـن العرب هي الصورة القديمة، إذ تجاوز طور الإعجاب والاسـتهواء والافتنان إلى طور التفاعل الواعي مع الغرب المتقدم، وشرع يفتح معه قنوات الحوار الإيجابي، وتصحيح الصـورة المخطوءة التي نقلها الاستشـراق إلى المتخيل الغربي. لقد خفت سـحر الغرب في وعـي الجيـل الجديد، وتغيـرت الصورة القديمة؛ وذلك مع انحسـار التغريـب بتحول بعض المثقفين العرب حتى من العلمانيين بنقد التبعية الثقافية والسياسـية والاقتصادية والإعلامية للغرب.

لقد تلاشى بريق الصورة السحرية للغرب التي قدمتها كتابات الرحالة الأوائل وشهادات بعض المثقفين الموفودين إلى الغرب خصوصاً بعد غلبة الوجه السياسي للغرب على الوجوه الأخرى، وتراجع «الاستشراق العربي»، فبرز الخطاب المضاد حاملاً وعياً جديداً لصورة مغايرة للغرب. وتم فضح الأدوار المشبوهة لبعض المثقفين «المنتفعين» الذين يتبوأون منازل رفيعة في مجتمعاتهم الغربية، وهم يعملون في الجامعات ومراكز البحث ووسائل الإعلام الغربية في ترميم صورة الغرب حفاظاً على الصورة العتيقة والنمطية التي ارتسمت في المتخيل العربي منذ عصر النهضة.

يطرح أحمد الشيخ اعتراضات هؤلاء «المتغربين»من المثقفين العرب ، ويعرض حججهم في شكل أسئلة لماذا يثار موضوع المواجهة بين الغرب والشرق من جديد أو بين الشمال والجنوب؟ لماذا العودة إلى الأوهام؟ألا يقع علم الاستغراب في ضرب من الحنين (النوستالجيا) الذي يغرق الذات اليوتوبيات الضائعة وهي تتقصد استشراف مستقبل بعيد المنال في المدى المتوسط على الأقل. وأن الأمر أكبر من تبسيط العلاقة لهذا في روحانية الشرق ومادية الغرب وفي تقدم الغرب وتخلف الشرق وفي التقسيم الجيوسياسي الشمال والجنوب.

إن ملفوظ المواجهة في الخطاب المضاد يجعل أنور مالك يقدم قراءة مغايرة لمدلول المواجهة التي «تعني نقل مركز ثقل المبادرة التاريخية إلى المنطقة التي تمارس تحريك العملية. أين هي؟ كانت قبل الخامس عشر في إطاري الإسلام والصين. تحولت بعد هذا إلى أوروبا الرأسمالية، ثم الولايات المتحدة الأمريكية. الآن هذا المركز بدأ ينتقل إلى القطاع الآسيوي من العالم الشرقي»[176]؛ وأن الأمر في نظره في غاية التبسيط، ولا يحتاج إلى نشوب حروب. علماً بأن الاستغراب في نشأته الغربية[177] يصطرع فيه الداخل بالخارج، وهو تفكيك لكل اليقينيات الغربية حول العالم.

يريد «المتغربون» طمس الهوية العربية والخصوصيات الذاتية كما يصور ذلك خطاب الاستغراب في الوقت الذي يعي فيه الغرب ذاته، وينتقد حديث أبنائه «عن الثقافة العالمية وعن ضرورة الأخذ والعطاء ومن الثقافات الأخرى من دون تحديد لمواقع التبادل والتفاعل،

لذلك كان استياؤهم واضحا من رواج صياغة شرق في مواجهة غرب؛ لأنها صياغة تبرز البعد الثقافي والحضاري، وتبرز أهمية الثقافة الذاتية للشعوب في الصراع الراهن»[178]. ولهذا فإن «المتغربين» يكنفون من إلحاق صفة العربي إلى إنتاج عربي والإشارة إلى الهوية والثقافة والروحانية الشرقية في حين لا يجد «الآخر» أي عقدة في وصف إبداعه بالغربي (الشعر، الموسيقا، الثقافة إلخ بالغربية). وبعد هذا الولاء للآخر هل يستطيع هؤلاء تمثيل الثقافة العربية في حوارهم مع الغرب في نظر أحمد الشيخ؟

تمثيل الثقافة العربية

هل لسؤال من يمثل الثقافة العربية في حوارها مع الغرب من أهمية ومشروعية في الخطاب المضاد؟ إن المتغربين -في متصورات الخطاب المضاد- غير مؤهلين لتمثيل الثقافة العربية في الخارج وفي المحافل الدولية، وليس في استطاعتهم إقامة حوار معمق وجاد وصريح مع الثقافة الغربية. فبحكم انقطاعهم عن الثقافة المحلية والهوية الذاتية فإنهم يرفضون التعامل مع واقعهم خارج المتصورات الغربية. ومن ثم يشكك أحمد الشيخ في أهلية بعض هؤلاء المثقفين العرب الذين يعيشون في الغرب في تمثيل الثقافة العربية تمثيلاً حقيقياً، ويصور خطابهم تصويراً باتولوجياً إنْ من ناحية اللغة؛ وإنْ من ناحية الثقافة وإنْ من ناحية الواقع. فهل هذا المسعى يندرج في الحرب على الغرب بما يظهره الخطاب من عداء للثقافة الغربية أم هو مسعى ينتقل من الاستغراب إلى العزلة[179] كما كان حال الصين التي أبدعت حداثتها؟

يعيش هذا الخطاب وضعاً مرضياً يتمثل في حالة الانفصام والاغتراب، لكون أن بعض فاعلي الخطاب متغربون؛ إذ أمضوا «أكثر من ثلاثين أو أربعين عاماً خارج أوطانهم، قد وصلوا إلى مرحلة من «العالمية» أنستهم لغات وأفكار وعادات ومناهج النظرة المحلية لأوطانهم الأصلية»[180]؛ ومن أعراض هذا الخطاب الباتولوجي أنه يخجل من الحديث عن رؤية قومية ووطنية لأصوله الثقافية. خلافاً للرؤية الجديدة للمثقفين الذين ينشدون الاستقلالين الذاتي والحضاري.

إن سحر الوعي بالغرب لم يعد وقفاً على العلمي والثقافي والحضاري، بل صار الوعي بالغرب وعياً سياسياً. لهذا يرفض بعض المتغربين ملامح المقومات الأساسية للثقافة

الوطنيـة والقومية وكرههم للحديث عن جذور الثقافة العربية الإسـلامية، بل دعوتهم إلى تفكيـك بنياتهـا ومقوماتهـا والنظر إلـى العربية على أنها لغـة ميتة، فينتقـدون اللغة والدين ولا يفصلـون بين الأصول والاسـتعمال، وبـين الدين والتطرف، وبين اللغـة والتحجر. إن المتغربين في نظر أحمد الشـيخ لا يختلفون عـن الغرب؛ ولهذا فإن الغرب عندما يحاورهم فكأنه يحاور نفسه، لأن خطابهم متشابه. إنه مونولوج وحوار مع الذات لا مع الآخر.

صورة الغرب

صـار التـراث الغربـي – في نظر الصين – جـزءاً منتظماً من تاريخهـا، وبخاصة بعد اسـتعمار هونكونغ من قبل الإنجليز؛ وبعد توسـع التجارة وهيمنة الإمبريالية الغربية خلال القرنين الثامن عشـر والتاسـع عشـر طفق يلوح في الأفق المفهوم الحديث للتمييز بين طرفي ثنائية «الشـرق والغرب»؛ وأكثر ما تجلى هذا التمييز في الأنسـاق السـيميائية، وأصبح لافتاً للانتبـاه في القوالـب النمطيـة للثقافة الغربيـة؛ ومنها تخصيصـاً الأعمال الأدبيـة والفنون التشـكيلية وعلامات اللباس وأشكال الطعام التي «تناصت» مع الثقافات الهندية والصينية واليابانية.

وسـرعان ما انضافت العوامل المتجسـدة في اتسـاع رقعة النفوذ الغربي في مجالات السياسـة والثقافـة والاقتصـاد والعلوم إلـى الجغرافيـا التخيلية التـي عمادها ثنائية "الشـرق والغـرب". مـن الصعوبة بمكان تحديـد الجغرافيا الطبيعيـة للغرب ورسـم خرائطها؛ لأن ثمة إشـكالات تقـف عائقـا أمام تعيـين صورة الغـرب لكون أن هنـاك دولا آسـيوية تنتهج الحياة الغربيـة مثـل اليابـان وتايوان وقبلها هونـغ كونوك قبـل أن تعود للصين وبعضهـا الآخر مثل الصين وروسيا لا تتبع الأسلوب الغربي، كما أن هناك جالية إسلامية كبيرة في الغرب ليست مندمجة مع نمط الحياة الغربية؛ ومن ثم فإن جغرافيا الغرب تبقى ذات طبيعة ثقافية وفكرية.

ومن آيات هذا النفوذ الغربي ما بدأ يرتسـم في نهاية القرن التاسـع عشر من تأثير بيِّن في الفنون والثقافات الآسـيوية؛ ولا سـيما اليابان التي انجذبت إلى هذه الجغرافيا في مجال العلوم والاقتصاد والتجارة. لقد اكتسحت اللغة الإنجليزية الفنون الشعبية في الثقافة اليابانية الحديثة، بل امتد التأثير إلى المضامين والموضوعات والأسـاطير التي صارت سـمة للتناص بين الثقافتين اليابانية والغربية. هناك مسـلك آخر للاسـتغراب؛ إذ حاول أن يجسد حالة من

المقاومة الذاتية عن طريق الرغبة الجامحة في تشكل نمط جديد لغير الهوية الغربية وتجلياتها الثقافية. إن هذه المقاومة لم تتخلص – على ما يبدو – من الإرث القديم للاستشراق الذي يصور الشرق تصويراً روحانياً بعيداً عن العقلانية، والغرب تصويراً مادياً مشبعاً بالعقلانية. إن الاستغراب يستمد كينونته من هذه المقاومة القومية للهيمنة الغربية التي تكنس الهويات الثقافية لهذا الشرق الروحاني.

ينظر الغرب إلى هذه المقاومة "المشروعة" والدعوة إلى الاستغراب بأنه شكل من أشكال بأنها تعيد النقاش حول "الحداثة" و"التحديث"، وتبرز مظاهر التطرف بأشكاله المتعددة لدى القوميين والمحافظين والطوباويين؛ إذ يرون أن ثمة خطراً محدقاً تقف وراءه الرأسمالية "المتوحشة" والليبرالية "المعطوبة" والعلمانية "الضريرة"، وأن استجابة لهذه الدعاوى هي خيانة للذات والهوية وعمالة للغرب، واستباحة لسيادة "الدولة القومية". وفي المقابل كان الغرب يرى في دعوى الاستغراب إغراق الذات في الرومانسية وإفقار لروح العقلانية وابتعاد عن جنان الديمقراطيات الغربية.

إن هذا الحدث جاء ليؤكد خطأ الاعتقاد بوهم الإدراك المتناغم الذي ظل سائداً لدى بعض من كان متخماً بالأمل في انتصار السلم ونهاية التاريخ؛ وفي المقابل فإن الذين يعتقدون بصدام الحضارات وجدوا ضالتهم في هذه الأحداث؛ لكن من ينتقد فلسفة صامويل فيليب هنتنغتون Samuel Phillips Huntington، يرى أن جسامة الخطأ التي وقعت فيها هذه الفلسفة أنها حصرت جغرافيا الغرب داخل الحدود الوطنية، ورسمت له خريطة خارج علاماتها الثقافية وأنساقها الفكرية وأنماطها المعيشية. فالغرب من هذا المنظور لا تحده خريطة، وهو يمارس العنف ممارسة نظامية، وهو بهذا العنف المنظم يعيد صوغ النظام العالمي. تتضمن فلسفة هنتنغتون خطاباً مسكوناً بالرهاب من الأجنبي، وهوساً لحماية الهوية التي تهددها هجرة الأمريكيين اللاتينيين، فكان يخشى أن تكون اللغة الإسبانية ضرة للإنجليزية.

التغريب والعولمة

وهذا يندرج في منطق العولمة التي تسعى إلى تهميش الثقافات الوطنية، وتغريبها انطلاقاً من [الماكنة] الإعلامية التي تتوافر على وسائل تقنية شديدة الدقة؛ ولا غرو أن يتذرع "المتغربون" أو "العملاء الحضاريون"[181] بثقافة ما بعد الحداثة[182]، والاستسلام

إلى غواية الاستهلاك وشراهته. يمس التغريب منبع الدلالة ألا وهو السلوك عندما يكون هناك غالب ومغلوب بلغة ابن خلدون. ويتجلى ضمن نسق سيميائي يمس الأفكار واللباس والطعام والطقوس الاجتماعية، وغيرها.

إن الأفكار حاضنة العلامات والسلوك رافد من روافد الدلالة. إن الخطاب المضاد للتغريب ينصرف إلى نقد هذه الأنساق السيميائية ومقاومة تجلياتها في مستوياتها التقريرية البارزة للعيان؛ ولا سيما بعد ظهور مشروع العولمة مع مطلع التسعينيات من القرن العشرين. فصار الخطر محدقاً بالعالم الشرقي [العربي والإسلامي] على جميع الأصعدة الفكرية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية. ولعل أفضل سياسة للخروج من خطاب التباكي وهو اتباع سياسة المقاومة في فهم العالم الغربي ونقده وتجاوز عقدة النقص والتحرر من التبعية النفسية لسحر تقدمه.

التغريب نسق شامل ومخطط مدروس وطريق يؤدي إلى الغزو الثقافي فيطمس الفكر والسلوك ومن ثم الهوية. وفي المقابل هناك من المفكرين لا يجدون مبرراً للخوف من التيار الجارف للعولمة التي هي «واقع حاصل وينبغي ألا نركز على سلبياتها. فالعولمة لا تعني ذوبان الهوية»[183]. فالخوف يبدو مظهرا من مظاهر «الفوبيا» التي تسكن خطاب الاستغراب.

شرع الغرب في تنفيذه باستعمار بلدان «الشرق» وكثير من أجزاء العالم الإسلامي أول مرة، ثم أول المهمة إلى «وكلائه» من «المتغربين»، وسخر لذلك ترسانة إعلامية ومالية، ومن مظاهر التغريب السعي إلى هدم القيم الحضارية للثقافة الإسلامية عن طريق بروز «قوى العلمانية» أو ما تسمى بـ«المجتمع المدني» الرافض للدولة الدينية والداعي إلى الديمقراطية وحقوق الإنسان والتسويق لأنماط العيش الغربية في اللباس والطعام والشراب والتسليم بالأفكار والمناهج وطرائق التعليم والتشريع الغربي، بل صارت الأمركة تسم الأشياء بميسمها، وهي لون من التغريب جديد.

مُخرج

الاستغراب خطاب مشروع حيال ظاهرة موجودة، ولكنه غامض وتصور ضبابي لا يستطيع أن يفلت من أسر الأيديولوجيا. لا نبخس حق من يؤمن ببناء هذا العلم، ولا نشكك في نواياه الطيبة، ولكننا طرحنا جملة من التساؤلات المشروعة التي ينبغي لنا أن نتصدى لها

بمتصورات وعي حديد. هل نمتلك روح المؤسسة المعرفية التي نسخرها لخدمة أهداف هذا العلم؛ حيث نتجاوز الردود العاطفية وروح المقاومة الفكرية؟

يدعو الاستغراب إلى إعادة التوازن للثقافة الإنسانية وإلى ضرورة تجاوز ثنائيات المركز والأطراف والغالب والمغلوب والمنتج والمستهلك. وخلق شراكة متفاعلة بين الثقافات الإنسانية. إن صورة الغرب في متخيل الشرق تحمل الدلالات الآتيات:الأنانية والعنصرية والتنكر لتاريخ الشعوب وتشويه ثقافاتها والسعي إلى محو خصوصياتها المحلية والقضاء على اللغات الوطنية واستعمار الأوطان ونهب الثروات وغلبة النزعة المادية على الحضارة الغربية.

لقد تغيرت ملامح الغرب في نهاية القرن التاسع عشر، ومطالع القرن العشرين؛ ولعل من أبرز علامات هذا التحول تحطيم جدار برلين الفاصل بين أوروبا الشرقية وأوروبا الغربية، وانهيار مركز العالم التجاري World Trade Center. فمن الناحية السيميائية فإنهما يمثلان دلالات رمزية تنضاف إلى تراكمات الإحساس بعدم الثقة والصدام والكراهية. وهذا ما تحول بالفعل إلى مآس طاولت بآثارها السلبية المكونات البشرية جميعاً. فاستشرى مرض العداء، بعد ما بدأ الغرب يتكتل إقليمياً واقتصادياً وتجارياً ومالياً وسياسياً وثقافياً. فلم تعد هذه الجغرافيا تتقبل الآخر المختلف بدينه على وجه الخصوص؛ ولعل رفض تركيا أو تلكؤ بعض الدول الغربية في انضمامها إلى دول الاتحاد الأوروبي أوضح مثال على ذلك. إذا كان تحطيم جدار برلين انعكس إيجاباً على العالم العربي فاتحد اليمنان الشمالي والجنوبي فإن انهيار البرج التجاري كانت له آثار وخيمة على استقرار العالمين العربي والإسلامي؛ وقد استثمر الفاعلون في الشرق والغرب هذا الحدث لتوسيع الهوة بينهما، وتوكيد فكرة استحالة التعايش السلمي.

لا تكاد سمات الاستغراب في الخطاب الغربي تبرح سمتين اثنتين في استخدامه للمصطلح:

أولاهما: سمة النمطية والتجرد من الإنسانية الذي يسم – في كثير من الأحيان – العالم الغربي الذي تشمل جغرافيته أوروبا والعالم الأنجلوسكسوني، وكذا الدول التي صارت تشكل ركائز الرأسمالية المتوحشة، وتدور في فلك الأمبريالية العالمية.

ثانيها: فهو يشير إلى الأيديولوجيات أو المتصورات الغربية وغير الغربية في تثبيت أيديولوجيا الهيمنة وترسيخ مبدأ السيطرة. ففي السمة الأولى من تعريف الاستغراب يركز على سلبيات الغرب من منظور الشرق؛ وهناك من يتناول التمثلات الإيجابية والسلبية للغرب؛ حيث كان الغرب يركز كثيراً على مساوئ العالم الإسلامي، ومازال إلى حد الآن خصوصاً بعد واقعة 11 سبتمبر.

الهوامش والمراجع

(1) يثبت سيبويه ظاهرة التتابع في العربية المعروفة بالترادف في أدبيات فقه اللغة؛ إذ يقول: «اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد...» الكتاب، بيروت، 1991، 1 \24. وهناك خلاف كبير بين فقهاء اللغة بين من يثبت ومن ينفي.

(2) ذكرت الكاتبة العمانية ظاهرة اللواتية في مقال لها بعنوان «اللغة العربية تموت» على هذا «الخارج» الذي يقف في طريق أن تكون العربية لغة العلم بقولها: «نعرف وبحسرة كبيرة أن اللغة العربية أزيحت عن أن تكون لغة التدريس في العلوم المختلفة في الجامعات الخليجية والعربية، وأن هذا الأمر بضغوط خارجية دولية، وهذا ما يجعلنا نكره هذا الخارج ونحقد عليه حقداً كبيراً، فلماذا هذا التدخل وفرض السيطرة والتحكم ؟ هل يظنون أنهم ما يزالون المحتلين القدامى، عندما كانوا يجيشون الجيوش لاحتلال الدول والسيطرة على مقدراتها ؟»، جريدة الوطن العمانية، السبت 25 ربيع الأول 1433هـ، الموافق 18 من فبراير 2012م العدد(10423)، السنة الـ 42.

(3) ينظر أحمد الشيخ، من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: المثقفون العرب والغرب، القاهرة، المركز العربي للدراسات الغربية، ط 1، 2000، ص 27.

(4) طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، ط 2، ص 42-43.

(5) افتراءات المستشرقين على زوجات النبي (صلى الله عليه وسلم)،أمينة محمد رستم طبارة.

- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، الدكتور محمود حمدي زقزوق. - القاهرة 1998م - إشراف الدكتور كامل موسى.

(6) المستشرقون الغربيون في دراسة الفكر الإسلامي / إعداد إنعام الرواس.

(7) ينظر أحمد الشيخ، من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: المثقفون العرب والغرب، ص 22.

(8) حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، موقفنا من التراث الغربي، القاهرة، مركز الكتاب للنشر، ط 1، 2009.

- أحمد الشيخ، من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: المثقفون العرب والغرب.

(9) Carrier, James G. Occidentalisme. Images de l'Ouest, Oxford, CalrendonPress, 1995.

- Buruma, i. et Margalit, a., l'Occidentalisme.Une brève histoire de l'anti-occidentalisme., Atlantic Books, London, 2004.

(10) ينظر مقدمة كمال أبو ديب: مترجم كتاب الاستشراق لإدوار سعيد، ص 6.

(11) الاستشراق في الأدبيات العربية، عرض للنظرات وحصر وراقي للمكتوب، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط 1، 1993، ص13.

(12) عبد الله إبراهيم، الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، ص 56.

(13) ينظرعبد الله إبراهيم، الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، ص 56.

(14) غريغوار منصور مرشو، مقدمات الاستتباع، الشرق موجود بغيره لا بذاته، فرجينيا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط 1، 1416 هـ -/ 1996م.

(15) ينظر أحمد الشيخ، من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: المثقفون العرب والغرب، ص44.

(16) رفاعة رافع الطهطاوي، تخليص الإبريز في تلخيص باريز، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993.

(17) ينظر أحمد الشيخ، من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: المثقفون العرب والغرب، ص 32.

(18) ينظر العدد الخاص بالعولمة بوصفها ظاهرة العصر، الذي خصصته مجلة عالم الفكر في المجلد الثامن والعشرين – العدد الثاني – أكتوبر/ ديسمبر 1999. هناك من يترجمها أيضاً بالكوكبة وبالشوملة.

(19) ينظر هافس بيتر مارتين، وهارلد شومان، فخ العولمة: الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية، الكويت، تر. عدنان عباس علي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، تشرين الأول، 1998.

(20) يورغنهابرماس، الحداثة وخطابها السياسي، هابرماس، ترجمة جورج تامر، مراجعة جورج كتورة، بيروت، دار النهار، ط1، 2002، ص 130.

(21) ينظر أحمد الشيخ، من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: المثقفون العرب والغرب، ص 308.

(22) من الاستشراق الغربي إلى الاستغراب المغربي: بحث في القراءة الجابرية للفكر العربي وفي آفاقها التاريخية، حمص/ سوريا، دار الذاكرة، دمشق، دار المجد، ط 1996.

(23) ينظر حافظ حميد الدليمي، الفكر العربي الإسلامي في مواجهة دعوات التغريب: دراسة تاريخية فكرية، مكتبة الرشد، 1427 هـ.

(24) نور الدين أفاية، الغرب المتخيّل: صور الآخر في الفكر العربي الإسلامي الوسيط، المركز الثقافي العربي (الدار البيضاء) ، ط 1، 2000.

(25) عبد العزيز بن عرفة، الدال والاستبدال، الطبعة الأولى 1993، المركز الثقافي العربي، ص 24.

(26) L'Occidentalisme، phobies oufascinations؟EurOrient – Mars N°-16-2004.

http: / /www.eurorient.net /fichiernumeroparu /numerosparus.htm

(27) كان الإغريق يتعاملون مع الفرس على أنهم غربيون وغيرهم شرقيون، وسنحاول أن نقتصر في مطارحاتنا على الشرق العربي.

(28) إن صورة الآخر متعددة في النصوص العربية القديمة والحديثة ومنها ما نلفيه في النصوص الدينية المقدسة؛ ولا سيما في القرآن الكريم؛ إذ يبدو الآخر مجسداً في أهل الكتاب «اليهود والنصارى» و«الصابئة» و«الكفار» و«المنافقون».

(29) علي بن إبراهيم النملة، الشرق والغرب، محددات العلاقات ومؤثراتها، ط 1، 2004، الرياض، السعودية، مكتبة الملك فهد الوطنية.

- جان طنوس، ثنائية الشرق والغرب: دراسات في نصوص أدبية معاصرة، بيروت، دار المنهل اللبناني، 2009.

(30) راجي أنور هيفا، الإسلام والغرب، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، 2007.

- محمد مهدي شمس الدين، الإسلام والغرب، مؤسسة الامام شمس الدين للحوار ، 2004.
- محمد سعيد رمضان البوطي، الإسلام والغرب، دار الفكر المعاصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2007.
- أحمد عرفات قاضي، الإسلام والغرب: إشكالية الصراع وضرورة الحوار، القاهرة، مكتبة مدبولي، 2010.
- جبوري عادل، الإسلام والغرب: قراءات معاصرة، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، 2003.
- سمير سليمان، الإسلام والغرب: إشكالية التعايش والصراع، مجلة التوحيد، 1995.
- هالة مصطفى، الإسلام والغرب: من التعايش إلى التصادم، القاهرة، دار مصر المحروسة، 2002.
- محمد خير عبد القادر، الإسلام والغرب: دراسة في قضايا الفكر المعاصر، دار الجيل، 1991.
- ناصر عبد الرزاق ملا جاسم، الإسلام والغرب: دراسات في نقد الاستشراق، دار المناهج للنشر والتوزيع،2004.
- أبو الحسن الندوي، الإسلام والغرب، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، دار الفرقان للنشر والتوزيع، 1994.
- محمود حمدي زقزوق، الإسلام والغرب، مكتبة الشروق الدولية، 2005.
- يحيى العريضي، الإسلام والغرب: معطيات جديدة: حوارات حول وضع الإسلام في العالم الغربي، دار الرشيد، 1998.

محمد عابد جابري، الإسلام والغرب، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2009.

(31) ينظر عمرو عبد العلي: الأنا والآخر، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، 2004.

- سالم حداد، صراع الهوية بين الأنا والآخر: المغرب العربي نموذجا، الدار الأطلسية للنشر، 2000.
- شاكر عبد الحميد، الأنا-الآخر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- عقيل حسين عقيل، منطق الحوار بين الأنا والآخر، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2003.
- أحمد عبد الحليم عطية، جدل الأنا و الآخر : قراءات نقدية في فكر حسن حنفي في عيد ميلاده الستين، القاهرة، مكتبة مدبولي.
- مصطفى حسن نشار، في فلسفة الحضارة: جدل الأنا والآخر نحو بناء حضارة إنسانية واحدة، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، 2007.

(32) كريستيان كوميليو، الشمال والجنوب، دار المستقبل العربي،1998.

- جان سان جور، ضرورة التعاون بين الشمال والجنوب، تر. وتح. محمد بشير علية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، 1986.
- مجموعة من المؤلفين، حوار الشمال والجنوب وجهة نظر عربية، معهد الإنماء العربي، 1982.
- أحمد عبد العليم، الشمال والجنوب، مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر والدراسات، 1998.
- عبد القادر سعيد أحمد، حوار الشمال والجنوب: أسسه ونتائجه، معهد الإنماء العربي، فرع لبنان،

1977.

- مصطفى جفال، حوار الشمال والجنوب: وجهة نظر عربية معهد الإنماء العربي، 1982.

- أمير سالم، حقوق الإنسان معارك مستمرة بين الشمال و الجنوب، القاهرة، مركز الدراسات والمعلومات القانونية، 1994.

(33) محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2003.

- خالد الكركي، المشروع الحضاري العربي بين التراث والحداثة، مؤسسة عبد الحميد شومان،2002 .

(34) عبد القادر محمد أحمد، بين الأصالة والمعاصرة: قراءة مسار الفكر الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، 1994.

- جلال العشري، ثقافتنا بين الأصالة والمعاصرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1981.

- محمد حسين فضل الله، تحديات المهجر بين الأصالة والمعاصرة، دار الملاك، 2000.

- إسحاق أحمد فرحان، التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، دار الفرقان، 1982.

- محمد رأفت سعيد، الأصالة والمعاصرة في الفكر الإسلامي، دار الوفاء للطباعة والنشر، 2000.

- ولي الدين محمد صالح، ثقافة الحوار بين الاصالة والمعاصرة: دراسة وتطبيق، 2009.

- خالد غريبي، جدلية الأصالة والمعاصرة في أدب المسعدي، دار صامد، 1994،1994.

- عبد القادرمحمد أحمد، قضايا الفكر الاسلامي الحديث بين الأصالة والمعاصرة، دار المعرفة الجامعية، 1997.

- خالد برجاوي، إشكالية الأصالة والمعاصرة في تقنين الأحوال الشخصية بالمغرب: وضعية المرأة نموذجاً، دار القلم، 2003.

- ولي الدين محمد صالح فرفور، ثقافة الحوار بين الأصالة والمعاصرة: دراسة وتطبيق، دار الفرفور، 2009.

(35) مصطفى السباعي، الدين والدولة، دار الوراق للنشر والتوزيع 1998.

- محمد عمارة، الدين والدولة،الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986.

- علي بن سهل ربن طبري، وعادل نويهض، الدين والدولة: في إثبات نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم-، المكتبة العتيقة، 1973.

- محمد الشرقاوي، الدين والدولة العصرية، دار التحرير للطباعة والنشر، 1970.

- أبو الأعلى المودودي، مفاهيم إسلامية : حول الدين و الدولة، دار القلم للطباعة والنشر،1987.

- محمد عابد الجابري، الدين والدولة وتطبيق الشريعة، مركز دراسات الوحدة العربية، 2004.

- محمد بهي، الدين والدولة من توجيه القرآن الكريم، دار الفكر، 1971.

- منصور إبراهيم، أحمد نسيم برقاوي، طيب تيزيني، الأمة .. الدين .. الدولة: أفكار لزمن قادم : حوارات مع أحمد برقاوي، دار الشموس للدراسات والنشر والتوزيع، 1999.

- أيمن اليازجي الياسيني، الدين و الدولة فى المملكة العربية السعودية، دار مصر العربية للإعلام والنشر والتوزيع،دار الساقي للطباعة والنشر، 1987.

(36) اللقاءات التاريخية بين الإسلام والغرب/ محمد إبراهيم الفيومي. القاهرة، وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية،1416 هـ - 1995م.

(37) هناك مفكرون انتقدوا الغرب ومنهم اشبنجلر الذي تنبأ بسقوط حضارة الغرب، ونبه أيضاً المؤرخ تونبي، وجاء فلاسفة الاختلاف والتقويض فنقدوا المركزية الغربية من أمثال جاك دريدا، وفضح بشاعة الوجه القبيح للغرب من قبل نوام تشومسكي.

(38) ويقصد بهم المستلبون والمتغربون من المفكرين والمثقفين والأدباء والفنانين العرب الذين يدافعون من دون تفويض عن الغرب وصورته.

(39) نذكر هنا – على سبيل المثال – إدوارد هنري بالمر [1840–1882 Edaward Henry Palmer] فكان عميلاً للاستعمار، ويمكن مراجعة موسوعة المستشرقين لعبدالرحمن بدوي، بيروت، دار العلم للملايين، ط. 3، 1993، ص 67.

(40) رفاعة الطهطاوي، تخليص الإبريز في تلخيص باريز، وعبد الله فكري، كشف المخبى في فنون أوروبا، وفارس الشدياق، وعيسى بن هشام، وابن أبي ضياء.

(41) حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، الكويت، عالم المعرفة، رقم 138، يونيو 1989، ص 8.

(42) فؤاد زكريا، ينظر أحمد الشيخ، من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: المثقفون العرب والغرب، ص 48.

(43) أحمد الشيخ، من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: المثقفون العرب والغرب، ص 44.

(44) ينظر عبد الحليم محمود السيد، مفهوم الأصالة، الموسوعة الفلسفية العربية، رئيس التحرير معن زيادة، بيروت، معهد الإنماء القومي، ط. 1، 1986، ص 17.

(45) أحمد الشيخ، من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: المثقفون العرب والغرب، ص 303.

(46) اكتشاف المسلمين لأوروبا، تر. وتع. وتق. ماهر عبد القادر محمد، القاهرة، المكتبة الأكاديمية، ط 1، 1996.

(47) ينظربرنار لويس، اكتشاف المسلمين لأوروبا، تر. وتع. وتق. ماهر عبد القادر محمد، القاهرة، المكتبة الأكاديمية، ط1، 1996، صص 69–82.

(48) برنار لويس، اكتشاف المسلمين لأوروبا، تر. وتع. وتق. ماهر عبد القادر محمد، القاهرة، المكتبة الأكاديمية، ط1، 1996، ص16.

(49) ألحقت الألف واللام بكلمة غير لضرورة الاصطلاح.

(50) ينظر نقد علي حرب لكتاب مقدمة في علم الاستغراب لحسن حنفي. جريدة عكاظ (4صفر 1419)

(51) «إن الغرب تصور الشرق ودرسه تصوراً استعمارياً عرقياً، فوقياً، متجذراً في القوة واتحاد القوة بالمعرفة، والإنشاء الذي ولده ذلك كله، وأن الشرق لم يكن في وعي الغرب، الآخر الخارجي فقط، بل امتداداً أيضا للشاذ والمنحرف والمجنون والمستضعف داخل الغرب: الآخر الداخلي أيضا» – ينظر مقدمة كمال أبو ديب: مترجم كتاب الاستشراق لإدوار سعيد، ص 6.

(52) الشرق – في نظر إدوارد سعيد – «كيان مشكل مكون» لا حقيقة من حقائق الطبيعة... إن الغرب من المنطيق نفسه، هو «كيان مشكل مكون» أيضاً... إن الغرب بحاجة إلى معاينة باعتباره كياناً مشكلاً" ينظر الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء، تر. كمال أبو ديب، لبنان، مؤسسة الأبحاث العربية، ط45، 1995، ص6.

(53) EurOrient – Mars N°–16–2004. fascinations؟ L'Occidentalisme، phobies ou

http: / /www.eurorient.net /fichier|numero|paru /numeros|parus.htm

(54) ينظر طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. الطبعة الثانية. المركز الثقافي العربي. ص 20.

(55) يدل في اللغة على الانضمام والموافقة. ورد في أساس البلاغة للزمخشري في مادة [ح ي ز] انحاز إليهم وتحيز، انضم »أو متحيزاً إلى فئة«.

(56) أحمد الشيخ، من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: المثقفون العرب والغرب، ص 313.

(57) أحمد الشيخ، من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: المثقفون العرب والغرب، ص 306.

(58) ينظر أحمد الشيخ، من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: المثقفون العرب والغرب، ص 6.

(59) -voir Dina Khapaeva، L'occident sera demain، Annales. Histoire، Sciences Sociales، A
.née 1995، Volume 50، Numéro 6، pp. 1259

وهي توثق لذلك بالإحالة على بحث ليوري لوتمان باللغة الروسية.

Yu. Lotman، Entretiens sur la culture russe، La vie quotidienne et les traditions de la noblesse russe، XVIIIe début XIXe siecles، Saint-Pétersbourg، 1994.

(60) Dina Khapaeva، l'occident sera demain،Op. cité، p. 1259.

(61) Voir M. Ferro، l'occident devant la révolution soviétique : L'histoire et ses mytes،Complexe، coll. « La Mémoire du siècle »، Bruxelles، 1980.

(62) هناك شعوب ناطقة بلغات المستعمر؛ ولكن لا يشملها هذا الوصف الذي أضافت فنه إليه صفة الغازي للتمييز.

(63) زاول دراسته في جامعة رود آيلاند؛ حيث تخرج في التسويق والإعلان. وحصل على شهادة دكتوراه في جامعة إيلينوي، في موضوع الجوانب الاقتصادية للاتصالات. وبعد ذلك صار أستاذاً في جامعة إيلينوي، وترقى إلى عميد كلية الاتصالات. والتحق بعد ذلك في عام 1992 بـ»معهد الدراسات العليا للصحافة» في جامعة كولومبيا؛ حيث أسس برنامج الدكتوراه متعددة التخصصات في مجال علوم الاتصال.

http، / / /en.wikipedia.org /wiki /JamesW.Carey بتاريخ 29/ 01/ 2012 في الساعة 12:25.

(64) أفيشيمارغاليت فيلسوف وأكاديمي إسرائيلي ولد عام 1939، وصاحب المؤلفات العديدة في مجال الفلسفة السياسية والاجتماعية وفي فلسفة اللغة.

نشر كتاب «المجتمع اللائق» في سنة 1996. إن مصطلح اللائق يعادل المجتمع الذي لا تمنح فيه المؤسسات حيزاً للمواطنين للشعور بالإهانة. إن غياب الإهانة الجماعية تعد ضرورة أصلية ملحة بحسب مارغاليت قبل البحث عن المجتمع العادل.

أفيشيمارغاليت أستاذ زائر في العديد من الجامعات (أكسفورد وهافارد والجامعة الحرة ببرلين)، وحائز على كرسي معهد بريستون للدراسات المتقدمة ومتعاون مع جريدة نيويورك للكتب. حصل في عام 2001 على جائزة من قبل مؤسسة اسبينوزا الدولية. تركزت تحليلاته في الفلسفة السياسية حول الصراع الفلسطيني الإسرائيلي. إنه أحد الأعضاء المؤسسين للحركة الإسرائيلية «السلام الآن».

(65) ينظر أحمد الشيخ، من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: المثقفون العرب والغرب، ص. 70.

(66) وهو مصطلح أطلقه الاقتصادي الفرنسي ألفريد سوفاي في خمسينيات القرن العشرين.

(67) فرانسيس فوكو ياما، نهاية التاريخ وخاتم البشر، تر. حسين أحمد أمين، القاهرة، مركز الأهرام للترجمة

والنشر، ط1، 1993، ص 8.

(68) بيتر تيلور، كولن فلنت، الجغرافيا السياسية لعالمنا المعاصر، الكويت، عالم المعرفة 282، المجلس الوطني للثقافة والفنون، ص 100.

(69) يراجع إدوارد سعيد، تغطية الإسلام، تر. سميرة نعيم خوري، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ط. 1، 1983، خصوصاً الفصل الأول الموسوم بـ:الإسلام في الإعلام، صص. 33-98.

(70) بول بوت (بالإنجليزية، Pol Pot) - سالوث سار (بالإنجليزية،19 (SalothSar مايو 1928 - 15 ابريل 1998 والملقب بعدة أسماء أولها بول بوت وبالأخ رقم 1 و ،Pol، Pouk، Hay، Grand-Uncle ،Phem ،(87(.. قاد بول بوت الحركة الشيوعية التي كانت مشهورة بالخمير الحمر. تولى منصب رئيس وزراء كمبوديا لفترة ثلاث سنوات من 1976-1979 وكان الحاكم الفعلي لكمبوديا منذ منتصف العام 1975. واشتهر بسياسات مثيرة للجدل قمعية في أغلبها. في عام 1979 وبعد اجتياح القوات الفيتنامية، انهارت حكومة الخمير الحمر وهرب بول بوت إلى منطقة الغابات شمال غرب كمبوديا. لم يقدم بول بوت لمحاكمة رسمية لكن جماعة الخمير الحمر قامت باعتقاله.مات بول بوت في العام 1998 وهو تحت الإقامة الجبرية.

(71) بنوم بنه Phnom Penh هي الأكبر والأكثر اكتظاظاً بالسكان، بالإضافة إلى كونها عاصمة كمبوديا. كانت تعرف بلؤلؤة آسيا عام1920م، اشتهرت المدينة بجمعها بين طابع الخمير التقليدي والطابع الفرنسي بحكم الاستعمار. تعتبر المدينة من أغنى مدن كمبوديا، كما تعتبر المركز السياسي، الاقتصادي والثقافي للدولة، يسكنها نحو مليونين من 15 مليوناً مجموع سكان كمبوديا.

(72) مثلما يطلق عليهم في الجزائر من قبل الإسلاميين والوطنيين بـ»حزب فرنسا».

(73) حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، ص 19.

(74) نلفي اعترافات بعض الكتاب العرب بدور المستشرقين في إنارة السبيل لهم في بحوثهم، مثلما حال فؤاد قنديل على سبيل المثال، بعد النجاح الواسع الذي حالف كتابه «أدب الرحلة في التراث العربي»، وهو يثني على المستشرق الروسي إغناطوسكراتشكوفسكي الذي يصفه بالعالم الكبير، ويصف دراسته الموسومة بـ»تاريخ الأدب الجغرافي العربي» بالدراسة الرائدة والمعمقة، وأنها كانت نعم العون له في إنجاز كتابه، ينظر فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، القاهرة، مكتبة الدار العربية للكتاب، 2002، ص 6.

(75) ينظر زيد بن عبد المحسن آل حسين، مقدمة لكتاب الاستشراق في الأدبيات العربية، ص 5.

(76) الاستشراق، الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي. الطبعة الأولى - القاهرة، دار الفكر العربي.

· الاستشراق، دكتور أحمد شلبي - القاهرة، مكتبة النهضة المصرية7.

· الاستشراق، أنور الجندي. - القاهرة، دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع.

- الاستشراق / الدكتور السيد أحمد فرج. الطبعة الأولى. الرياض، دار طويق للنشر والتوزيع،1414 هـ/ 1993م

(77) المستشرقون / الدكتور عابد بن محمد السفياني. - الطبعة الثانية. - جدة، دار المنارة للنشر والتوزيع،1412هـ/ 1992م.

(78) الفكر الاستشراقي / الدكتور محمد الدسوقي.ط1. قم، مؤسسة التوحيد للنشر الثقافي،1416 هـ/ 1996 م.

(79) الاستشراق الإسرائيلي، الدكتور محمد جلاء إدريس. – القاهرة، العربي للنشر والتوزيع،1416 هـ/ 1995م.

– أحمد درويش، الاستشراق الفرنسي والأدب العربي (دراسات أدبية)، الطبعة الأولى، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997.

(80) تاريخ حركة الاستشراق / المستشرق يوهان فوك. الطبعة الأولى. دمشق، دار قتيبة،1417هـ/ 1996 م.

(81) عبد المتعال محمد الجابري ، الاستشراق : وجه للاستعمار الفكري ؛ دراسات في تاريخ الاستشراق وأساليبه الفكرية في الغزو الفكري للإسلام ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، مكتبة وهبه ، 1995.

– لخضر شايب، نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر ، الطبعة الأولى ، الرياض ، مكتبة العبيكان ، 2002 ، 622 صفحة.

– محمد خليفة حسن أحمد، آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية ، الطبعة الأولى ، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، 1997.

(82) الإسلام وموقف علماء المستشرقين / الدكتور عبد الحميد متولي – الطبعة الأولى – الرياض، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع،1403 هـ / 1983 م.

(83) طبقات المستشرقين / الدكتور عبد الحميد صالح حمدان. القاهرة، مكتبة مدبولي.

(84) مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية / قدم البحوث التي ضمها هذا المجلد حسب الترتيب الأبجدي للأسماء، الدكتور التهامي نقرة. – الرياض، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب التربية العربي لدول الخليج،1405هـ / 1985 م.

– منهج المستشرقين في كتابة التأريخ الإسلامي / عامر عبد الله جابر. –الأبحاث التمهيدية – سنة 1998 م.

– المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي / الدكتور عبد العظيم محمود الديب– الطبعة الأولى.

(85) الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي، الدكتور عبد العظيم المطعني. الطبعة الأولى. المنصورة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع،1407 هـ / 1987 م.

(86) عبد الله إبراهيم، المرجعيات المستعارة، ص 177.

(87) إبراهيم عبد الكريم، الاستشراق وأبحاث الصراع لدى إسرائيل، الطبعة الأولى، عمّان، دار الجليل، 1993.

(88) في الغزو الفكري / الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح. – الطبعة الأولى. – الدوحة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،1414 هـ.

– الغزو الثقافي الأجنبي للأمة العربية / حسين بن عبد الله بن حسين بانبيله. الرياض، الرئاسة العامة لرعاية

الشباب؛الشارقة، دار الثقافة العربية،1409 – 1410 هـ.

– التبشير الصليبي والغزو الاستعماري / عبد الفتاح أحمد أبو زايدة – الطبعة الأولى – مالطا، منشورات رسالة الجهاد،1397هـ / 1988م. ؟؟ – الاختراق الثقافي، عبد الجبار الرفاعي. الطبعة الأولى. قم، مكتب الإعلام الإسلامي،1416ق – 1374ش.

(89) الاختراق الثقافي، عبدالجبار الرفاعي الطبعة الأولى قم، مكتب الإعلام الإسلامي،1416ق – 1374ش.

(90) آثار ومكائد أضعفت المجتمع الإسلامي عبر ثلاثة أرباع القرن 1914م – 1992م / جميل العجم – بيروت، دار الندوة الجديدة،1413هـ1993–م.
(91) التآمر على .. التاريخ الإسلامي / الباحث الإسلامي أبو الوفا أحمد عبد الآخر. – الطبعة الأولى. – القاهرة، د . ن،1410 هـ/ 1990 م.
(92) الإعلام الإسلامي وخطر التدفق الإعلامي الدولي / الدكتور مرعي مدكور. الطبعة الأولى. – القاهرة، دار الصحوة للنشر والتوزيع،1409هـ / 1988م.
(92) أنور الجندي، سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية، الطبعة الثانية، بيروت، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، 1985.
(93) نور الإسلام وأباطيل الاستشراق، د. فاطمة هدى أبو النجا. ط1. طرابلس، دار الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع،1413هـ / 1993م.
(94) السيرة النبوية وأوهام المستشرقين / عبد المتعال محمد الجبري. الطبعة الأولى – القاهرة، مكتبة وهبة، 1408هـ/ 1988م .
– القرآن وأوهام مستشرق / محمد حسين أبو العلا:– القاهرة، المكتب العربي للمعارف.
(95) الإسلام وشبهات المستشرقين / الشيخ فؤاد كاظم المقدادي.الطبعة الأولى، قم، المجمع العلمي لأهل البيت،1416 هـ.
(96) خيري منصور، الاستشراق والوعي السالب، الطبعة الأولى، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2000.
(97) الهجمات المغرضة على التاريخ الإسلامي، دكتور محمد ياسين مظهر صدّيقي. – الطبعة الأولى – الرياض، رابطة الجامعات الإسلامية،1408 هـ/ 1988 م.
(98) الاستشراق رسالة استعمار / الدكتور محمد إبراهيم الفيومي. – القاهرة، دار الفكر العربي،1413 هـ / 1993م.
(100) وسائل حروب الصليبية المستحدثة، عبد الرحيم محمد معصوم الخزنوي. الأبحاث التمهيدية – سنة 1999 م 2. الأبحاث التمهيدية – إشراف الدكتور أحمد علم الدين 3. التبشير – التنصير 4. التبشير.
(101) قوى الشر المتحالفة، محمد محمد الدهان. ط2.المنصورة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع،1408هـ/ 1988م.
(102) التبشير والاستشراق / المستشار محمد عزت إسماعيل الطهطاوي. الطبعة الأولى، القاهرة، الزهراء للإعلام العربي،1411 هـ/ 1991 م.
(103) وسائل حروب الصليبية المستحدثة، عبد الرحيم محمد معصوم الخزنوي. الأبحاث التمهيدية – سنة 1999 م 2. الأبحاث التمهيدية – إشراف الدكتور أحمد علم الدين 3. التبشير – التنصير 4. التبشير.
(104) الابتعاث ومخاطره / محمد الصباغ. الأولى. دمشق ؛ بيروت، المكتب الإسلامي،1398هـ1978–م.
(105) عوامل تقهقر الأمة الإسلامية،الدكتور سليم عبده قائد القباطي. الطبعة الأولى. صنعاء، مكتبة الجيل الجديد، 1417 هـ/ 1997م · 1996م.
(106) رؤية إسلامية للاستشراق، الدكتور أحمد عبد الحميد غراب. ط2. لندن، المنتدى الإسلامي،1411 هـ

(107) هزيمة الاستشراق في ملتقى الإسلام، أنور الجندي. – القاهرة، دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع، الدمام، دار الإصلاح للطبع والنشر.

(108) عمر كوش، أقلمة المفاهيم، تحولات المفهوم في ارتحاله، الطبعة الأولى 2002، المركز الثقافي القومي العربي، ص. 143.

(109)ينظرعبد الله إبراهيم، المركزية الغربية، الدار البيضاء بالمغرب وبيروت بلبنان، المركز الثقافي العربي،ط. 1، 1997، ص. 13.

(110) المستشرقون والقرآن / د. إسماعيل سالم عبد العال. مكة المكرمة، رابطة العالم الإسلامي،1410هـ / 1990م.

– الاستشراق والقرآن العظيم / الدكتور محمد خليفة. – الطبعة الأولى. – القاهرة، دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع،1414هـ / 1994 م.

– دراسات قرآنية / الدكتور محمد حسين علي الصغير. قم، مكتب الإعلام الإسلامي،1413 هـ.

– القرآن كتاب أحكمت آياته، أحمد محمد جمال. مكة المكرمة، رابطة العالم الإسلامي،1404 هـ / 1984 م.

– القرآن الكريم في كتابات غير المسلمين،أحمد علم الدين. – 247 ص.

– القرآن وأوهام مستشرق / محمد حسين أبو العلا.– القاهرة، المكتب العربي للمعارف.

– دراسات المستشرقين حول مصدر القرآن الكريم / عبد الله حسين بدران

(111) الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده / دكتور محمود ماضي. – الطبعة الأولى. – الإسكندرية، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع،1416هـ – 1996م.

(112) الإسلام و الاستشراق / الدكتور صالح زهر الدين. – الطبعة الأولى. – بيروت، دار الندوة الجديدة،1412 هـ / 1991 .

– الإسلام الاستشراق، دكتور محمود حمدي زقزوق. الطبعة الأولى. القاهرة، مكتبة وهبة،1404هـ / 1984م.

– الإسلام في تصورات الغرب، دكتور محمود حمدي زقزوق. الطبعة الأولى. – القاهرة، مكتبة وهبة،1407هـ / 1987م.

– المستشرقون والإسلام / زكريا هاشم زكريا. – القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية،1385هـ / 1965م.

(113) الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين / نذير حمدان. – الطبعة ثانية مزيدة ومنقحة. – جدة، دار المنارة للنشر والتوزيع،1406 هـ / 1986 م

(114) نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن، الدكتور حسن ضياء الدين عتر. الطبعة الأولى. بيروت، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع،1410هـ

(115) السيرة النبوية وأوهام المستشرقين / عبد المتعال محمد الجبري. الطبعة الأولى. – القاهرة، مكتبة وهبة، 1408هـ/ 1988م .

– دراسات في السيرة النبوية / محمد سرور بن نايف زين العابدين. الطبعة الثالثة. – برمنجهام، دار

الأرقم للنشر والتوزيع،1408 هـ - 1988 م .
(116) المستشرقون ومصادر التشريع الإسلامي، الدكتور عجيل جاسم النشمي. الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،1404 هـ / 1984 م.
- دفاع عن السّنّة، الدكتور محمّد محمّد أبو شهبة. القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، الأزهر،1410هـ / 1990م
(117) منهج الدفاع عن الحديث النبوي، الدكتور أحمد عمر هاشم. مراجعة الدكتور محمد الطيب النجار. القاهرة، وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية،1410هـ / 1989م.
- جولد تسيهر وكتابه «دراسات محمدية» / علاء الدين محمود زعتري.
(118) دور المستشرقين في نقد رواية المحدثين / محمد نزار تميم. إشراف الدكتور أحمد علم الدين ٠ رواية الحديث بالمعنى / هيثم نزار تميم. - إشراف الدكتور أحمد علم الدين 2. الأبحاث التمهيدية - سنة 1994 م 3. الاستشراق - تعريف 4. المستشرقون - منهجهم في الكتابة 5. المستشرقون - شبهاتهم حول الإسلام 6. السنة النبوية - شبهات 7. الحديث الشريف.
(119) استقلال الفقه الإسلامي عن القانون الروماني والرد على شبه المستشرقين، الدسوقي السيد الدسوقي عيد. - الطبعة الأولى.- القاهرة، مكتبة التوعية الإسلامية لإحياء التراث الإسلامي،1410 هـ/ 1989 م.
(120) انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منه، محمد فتح الله الزيادي. الطبعة الأولى. بيروت، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع،1411 هـ / 1990 م.
(121) في التصوف الإسلامي وتاريخه، العلامة الأستاذ رينولد ألن نيكولسون. القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر،1366هـ/ 1947 م.
(122) المدخل لدراسة الأديان / دكتور محمد سيد أحمد المسير. الطبعة الأولى.
(123) المستشرقون والمرأة المسلمة / الدكتورة فاطمة هدى نجا - الطبعة الأولى - طرابلس، دار الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع،1412هـ - 1991م.
(124) دور الاستشراق في التعليم في الوطن العربي / مروح موسى نصر نصار.
(125) المدخل إلى التاريخ الإسلامي، الدكتور محمد فتحي عثمان. الطبعة الثانية. بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع،1412 هـ / 1992 م.
- أثر الفكر اليهودي في كتابة التاريخ الإسلامي / د. محمد محمد زغروت. - القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية،1408هـ/ 1986 م.
- المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي / الدكتور عبد العظيم محمود الديب.- الطبعة الأولى.
- الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي، دكتور مازن بن صلاح مطبقاني. الرياض، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية،1416 هـ/ 1995 م.
(126) إبراهيم محمد إبراهيم صقر، الاستشراق والفلسفة الإسلامية بين التجديد والتبديد، الفيوم، دار العلم، 2001.
(127) الغرب والشرق الأوسط / برنارد لويس. - د. ط. - القاهرة، ميريت للنشر والمعلومات.

(128) المستشرقون ومشكلات الحضارة، الدكتورة عفاف سيد صبره. الطبعة الثانية. القاهرة، دار الفكر العربي،1417 هـ/ 1997م

(129) الاستشراق في الفن الرومانسي الفرنسي / د. زينات بيطار – د. ط – الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،1412 هـ/ 1992 م.

(130) إسماعيل أحمد عمايرة، بحوث في الاستشراق واللغة، القاهرة، مؤسسة الرسالة، 2000.

– رمضان عبد التواب، العربية الفصحى والقرآن الكريم أمام العلمانية والاستشراق، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، 1998.

(131) أحمد الخميسي، نجيب محفوظ في مرآة الاستشراق السوفييتي، القاهرة، دار الثقافة الجديدة، 2000.

– علم العروض ومحاولات التجديد / الدكتور محمد توفيق أبوعلي. الطبعة الأولى. بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع،1408هـ/ 1988م.

(132) أنور الجندي، سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية، الطبعة الثانية، بيروت، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، 1985.

(133) كارل بروكلمان في الميزان، الدكتور شوقي أبو خليل. الطبعة الأولى. بيروت، دار الفكر المعاصر؛دمشق، دار الفكر،1408هـ/ 1987م.

– الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي، دكتور أحمد عبد الرحيم السايح. الطبعة الأولى. القاهرة، الدار المصرية اللبنانية،1417هـ.

(134) · احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام / الدكتور سعد الدين السيد صالح. ط1 الزقازيق، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع،1409 هـ/ 1989 م

(135) أحمد عبد الرحمن، من أخطاء المستشرقين و خطاياهم، نقد الاستشراق – دراسات تطبيقية، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة وهبة، 2002.

(136) دفاع عن السّنّة، الدكتور الشيخ محمّد بن محمّد أبو شهبة، الدكتور الشيخ عبد الغني عبد الخالق (رحمه الله)، الطبعة الأولى. [د. م.]، مكتبة السنة،1409 هـ/ 1989م.

(137) الرد على شبهات المستشرقين حول تدوين السنة / أحمد طه جاموس.

(138) الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي، الدكتور عبد العظيم المطعني. الطبعة الأولى. المنصورة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع،1407 هـ/ 1987 م.

– الإسلام ومواجهة المذاهب الهدامة / الدكتور محمد البهي. الطبعة الأولى. – القاهرة، دار التضامن للطباعة، مكتبة وهبة،1401هـ/ 1981م.

(139) التحديات التي تواجه العالم الإسلامي / الشيخ عبد الوهاب عبد الواسع. – القاهرة، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر،1411هـ/ 1991م.

(140) أحمد عبد الحميد غراب،الاستشراق ؛ رؤية إسلامية، الطبعة الثانية، لندن، المنتدى الإسلامي، 1411 هـ.

(141) أحمد الشيخ، من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: المثقفون العرب والغرب، ص46.

(142) يعتقد حسن حنفي بأن علم الاستغراب يندرج ضمن مشروع فكري بدأ مبكراً مع التراث والتجديد، الموقف من التراث القديم:

1 – من العقيدة إلى الثورة.
2 – من النقل إلى الإبداع.
3 – من الفناء إلى البقاء.
4 – من النص إلى الواقع.
5 – من النقل إلى العقل.
6 – العقل والطبيعة.
7 – الإنسان والتاريخ.

وتابعه في الموقف من التراث الغربي:

1 – مصادر الوعي الأوروبي.
2 – بداية الوعي الأوروبي.
3 – نهاية الوعي الأوروبي.

وكذا الموقف من الواقع:

1 – المنهاج.
2 – العهد الجديد.
3 – العهد القديم.

(143) أحمد الشيخ، من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب، ص 306.

(144) أحمد الشيخ، من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: المثقفون العرب والغرب، ص 47.

(145) أحمد الشيخ، من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: المثقفون العرب والغرب، ص 289.

(146) بيتر تيلور، كولن فلنت، الجغرافيا السياسية لعالمنا المعاصر، الكويت، عالم المعرفة 282. المجلس الوطني للثقافة والفنون، ص 99.

(147) حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، موقفنا من التراث الغربي، القاهرة، مركز الكتاب للنشر، ط. 1، 2009، ص33.

(148) بيتر تيلور، كولن فلنت، الجغرافيا السياسية لعالمنا المعاصر، الكويت، عالم المعرفة 282، المجلس الوطني للثقافة والفنون، ص100.

(149) ففي كتابات الرحالة الإرانيين فإن روسيا قبل ثورة أكتوبر تعد من الغرب.

(150) ينظر محمد نور الدين أفاية، الغرب المتخيل: صورة الآخر في الفكر العربي الإسلامي الوسيط، الدار البيضاء بالمغرب، وبيروت بلبنان، المركز الثقافي العربي، ط. 1، 2000، ص19.

(151) أحمد الشيخ، من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: المثقفون العرب والغرب، ص07.

(152) حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، موقفنا من التراث الغربي، القاهرة، مركز الكتاب للنشر، ط. 1، 2009، ص 34.

(153) أحمد الشيخ، من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: المثقفون العرب والغرب، ص 07.

(154) حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، موقفنا من التراث الغربي، القاهرة، مركز الكتاب للنشر، ط. 1، 2009، ص19.

(155)وهذا ما ينطبق على حسن حنفي في إلحاقه كلمتية «علم الاستغراب» والتغريب بكلمتين إفرنجيتين

(156) حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، موقفنا من التراث الغربي، القاهرة، مركز الكتاب للنشر، ط. 1، 2009، ص19.

(157) ينظر محمد عابد الجابري، مسألة الهوية: العروبة والإسلام..والغرب، لبنان، مركز الدراسات العربية، ص127.

(158) ينظر خليل نوري مسيهر العاني، الهوية الإسلامية في زمن العزلة الثقافية، العراق، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية، ط1، 2009.

(159) حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، موقفنا من التراث الغربي، القاهرة، مركز الكتاب للنشر، ط1، 2009، ص19.

(160) Voir Roland Barthes، Le grain de la voix، Entretiens 1980-1962، Paris، éd. Seuil، 1981،pp.57-63.

(161) حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، موقفنا من التراث الغربي، القاهرة، مركز الكتاب للنشر، ط1، 2009، ص 19.

(162) ينظر مقدمة طه حسين، مستقبل الثقافة في مصر، القاهرة، مطبعة المعارف، 1939.

(163) عبد الله ابراهيم: الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة. ص 34.

(164) أحمد الشيخ، من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: المثقفون العرب والغرب، ص 24.

(165) أدونيس، الشعرية العربية، بيروت، دار الآداب، ط. 2، 1989 ص86.

(166) شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي / أنور الجندي. - الطبعة الثانية. - دمشق ؛ بيروت، المكتب الإسلامي،1403 هـ/ 1983 م.

(167) محسن عبد الحميد، أزمة المثقفين تجاه الإسلام، ط1، القاهرة، دار الصحوة للنشر والتوزيع،1405هـ / 1984 م.

(168) أحمد الشيخ، من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: المثقفون العرب والغرب، ص289.

(169) ينظر نورمان فاركلوف، تحليل الخطاب: التحليل النصي في البحث الاجتماعي، تر. طلال وهبة، مر. نجوى نصر، المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2009، ص218.

(170) أحمد الشيخ، من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: المثقفون العرب والغرب، ص47.

(171) أنطون سيف، وعي الذات وصدمة الآخر، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2000، ص19.

(172) رواية صدرت لتوفيق الحكيم في عام 1938 تنضاف إلى عمله الروائي الآخر «زهرة العمر» لترسم معالم الاغتراب والصدام الحضاري مع التقاليد المحلية التي رافقت الرحالة إلى الغرب، بينما ينتقل البطل بعد تحصيله العلمي في أوروبا إلى بلده دون أن يندمج في المجتمع الغربي كما هو حال مصطفى سعيد في رواية الطيب صالح «موسم الهجرة إلى الشمال» وكذلك قصة «قنديل أم هاشم» ليحيى حقي. ثم يبدو البطل المتغرب في الكتابات القصصية والروائية الحديثة قاراً في الغرب، لا يفكر في العودة إلى بلده.

(173) الرحلة إلى الآخر، ضمن كتاب جماعي موسوم بـ«الغرب بعيون عربية»، كتاب العربي، 59، 15 يناير 2005، ج1، ص17.

(174) أحمد الشيخ، من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: المثقفون العرب والغرب، ص307.

(175) أحمد الشيخ، من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: المثقفون العرب والغرب، ص307.

(176) أحمد الشيخ، من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: المثقفون العرب والغرب، ص73.

(177) voir Jonathan Friedman، Occidentalisme et déclin hégémonique، 15 novembre 2011، histoireglobale.com /scienceshumaines.com

(178) أحمد الشيخ، من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: المثقفون العرب والغرب، ص 10.

(179) Voir YVES CHEVRIE، DE L'OCCIDENTALISME A LA SOLITUDE : GHEN DUXIU ET L'INVENTION DE LA MODERNITÉ CHINOIS، Dictionnaire biographique du mouvement ouvrier chinois، ouvrage collectif sous la direction de Lucien Bianco et Yves Chevrier à paraître aux Editions ouvrières et aux Presses de la Fondation Nationale des Sciences Politiques en décembre 1984.

(180) أحمد الشيخ، من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: المثقفون العرب والغرب، ص11.

(181) أحمد الشيخ، من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: المثقفون العرب والغرب، ص 74.

(182) ينظر سليمان الديراني، ما بعد الحداثة، مجتمع جديد أم خطاب مستجد، مجلة الفكر العربي، ع. 78، س. 15، (4) خريف 1994، صص. [6-15].

(183) ينظر: علي حرب، حديث النهايات، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط 1، 2000، ص13.